البراق
في شرح
منظومة الأخلاق

تأليف: العبد الفقير إلى عفو ربه القدير
أبي سليمان مختار بن العربي مومن
الجزائري ثم الشنقيطي
عفا الله عنه وعن والديه
ومشايخه والمسلمين

البراق
في شرح
منظومة الأخلاق

محفوظة جميع الحقوق

– 2023

شعار

صلاح أمـرك للأخـلاق مرجعـه
فقـوّم النفـس بالأخـلاق تسـتقم

إهداء

إلى أساتذة وطلاب وطالبات

مقرأة الرّيان للقرآن وعلومه

بعين السخونة — سعيدة — الجزائر

هذه الأبيات من تقريظ الشيخ عامر بهجت للشرح

أرسـل لي العلّامـة ابـن العـربي سـفرا نفيسـا فيـه كل الأرب
وهـو الذي سـمّاه بالـبراق في شرح نظـم أحسـن الأخلاق
كلّ معـاني النّظـم طـرّا أحـصى يوصـل مـن يقـرؤه للأقـصى
مـن عمـق فهـم النّظـم بالجنانِ جـزي بالـرّوح وبالريحـان

وكتب: بهجت عامر يوم:
الثلاثاء 7 محرّم 1445 هجري
الموافق لـ: 25يوليو 2023م

منظومة أحسن الأخلاق -

نظم الفقير إلى الله عامر بهجت -عفا الله عنه-

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي قَدْ وَهَبَا ... عِبَادَهُ المُقرَّبِينَ الْأَدَبَا

ثُمَّ الصَّلَاةُ بِالسَّلَامِ تَلْتَقِي ... عَلَى نَبِيِّنَا عَظِيمِ الْخُلُقِ

وَبَعْدُ: هَاكَ أَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ ... يَرْقَى بِهَا صَاحِبُهَا الْمَرَاقِي

فَأَوَّلًا: رَاعِ مَعَ اللهِ الْأَدَبْ ... بِتَرْكِ الْإِثْمِ وَبِفِعْلِ مَا وَجَبْ

وَحُسْنِ ظَنٍّ وَتَوَكُّلٍ رَجَا ... حُبٍّ وَتَوْحِيدٍ وَمَنْ خَافَ نَجَا

وَقِّرْ نَبِيَّهُ وَعَظِّمْ سُنَّتَهْ ... قَدِّمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى مَحَبَّتَهْ

وَبَرَّ وَالِدَيْكَ وَلْتُطِعْهُمَا ... تَفُزْ، وَصِلْ أَيَا بُنَيَّ الرَّحِمَا

بَجِّلْ كَبِيرًا وَارْحَمِ الصَّغِيرَا ... وَسَاعِدِ الضَّعِيفَ وَالْفَقِيرَا

وَكُنْ شُجَاعًا صَابِرًا كَرِيمَا ... وَشَاكِرًا وَفَطِنًا حَلِيمًا

وَذَا أَنَاةٍ وَحَيَاءٍ وَارْفُقِ ... وَكُنْ أَمِينًا وَتَوَاضَعْ وَاصْدُقِ

تَحَلَّ بِالْعَدْلِ وَبِالْإِحْسَانِ ... وَالْعَفْوِ وَالْوَفَاءِ وَالإِتْقَانِ

صُنِ اللِّسَانَ وَاحْفَظِ الْجَوَارِحَا ... أَحِبَّ كُلَّ مُسْلِمٍ كُنْ نَاصِحًا

تَقَبَّلِ النُّصْحَ مِنَ الثِّقَاتِ ... وَكُنْ مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ

وَوَقْتَكَ اشْغَلْهُ بِالِانْتِفَاعِ ... وَالْمَالَ فَاحْفَظْهُ عَنِ الضَّيَاعِ

بِهِمَّـــةٍ تَعَلَّـــمِ الْمُفِيـــدَا وَطَالِـــعِ الْكُتْـــبَ تَنَـــلْ مَزِيـــدًا
وَاحْـــتَرِمِ الْكِتَـــابَ وَالْمُعَلِّمَـــا وَأَكْرِمَـــنَّ مَـــا اسْـــتَطَعْتَ الْعُلَمَـــا
أَقْبِـــلْ وَأَنْصِـــتَنَّ لِلْمُحَـــدِّثِ وَقَـــدِّمِ الْأَكْـــبَرَ فِي التَّحَـــدُّثِ
بِالْخَـــيْرِ فَانْطِقَـــنْ وَإِلاَّ فَاصْمُـــتِ وَقَبْـــلَ نَقْـــلِ خَـــبَرٍ تَثَبَّـــتِ
وَقَدِّمَـــنْ صَـــلَاةَ الِاسْـــتِخَارَهْ إِذَا هَمَمْـــتَ ثُـــمَّ الِاسْتِشَـــارَهْ
وَأَتْبِـــعِ الْخَطَـــأَ بِاعْتِـــذَارِ وَأَتْبِـــعِ الذَّنْـــبَ بِالِاسْـــتِغْفَارِ
أَفْشِ السَّـــلَامَ صَاحِـــبِ الْأَخْيَارَا لَا تُـــؤْذِ إِنْسَـــانًا أَخُـــصُّ الْجَـــارَا
وَرَاعِ آدَابَ بُيُـــوتِ النَّـــاسِ كَغَـــضِّ طَـــرْفٍ وَكَالِاسْـــتِئْنَاسِ
وَأَكْـــرِمِ الضَّيْـــفَ وَكُـــنْ مُبْتَسِـــمًا انْـــصُرْ أَخَـــاكَ آثِـــرَنَّ الْمُسْـــلِمَا
عَـــنْ كُلِّ مَـــا يَسُـــوءُ كُـــنْ عَفِيفًا حَافِـــظْ عَلَى الصِّحَّةِ كُـــنْ نَظِيفًا
حَافِـــظْ عَلَى الْأَذْكَارِ فِي الصَّبَـــاحِ وَفِي الْمَسَـــاءِ تَحْـــظَ بِالْفَـــلَاحِ
إِذَا عَطَسْـــتَ فَاحْمَـــدَنَّ اللهَ وَشَـــمِّتَنْ مَـــنْ حَمِـــدَ الْإِلَهَ
عَلَى الْيَمِـــينِ طَاهِـــرًا نَـــمْ بَاكِـــرًا وَكُـــنْ لِأَذْكَارِ الْمَنَـــامِ ذَاكِـــرًا
مِمَّـــا يَـــلِي كُلْ بِالْيَمِـــينِ سَـــمِّ فِي أَوَّلٍ ثُـــمَّ احْمَـــدَنْ فِي الْخَتْـــمِ
أَحْمَـــدُهُ -جَـــلَّ- مُصَلِّيًـــا عَلَى نَبِيِّنَـــا يَـــا رَبِّ نَظْـــمِي فَاقْبَـــلَا

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمدلله ربّ العالمين الذي قسّم الأرزاق، وجعل ناصيتها حسن الأخلاق، فارتقى سيد الخلق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى ذراها، واصطفاه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فبوّأه أسناها فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4] فصلوات ربي وسلامه عليه ما تزكّى عابد بخلق، وما أضاء نور بأفق، وعلى آله وصحبه الأخيار.

وبعد: فلقد راقني كما راق كثير من الفضلاء منظومة الأخلاق الحسنة والتي ازدانت بهجةً بعامرها ومنشيها فضيلة الشيخ: عامر بهجت، تقبل الله مسعانا ومسعاه، ولما رأيت إقبال الفتيان عليها استخرت الله في وضع شرح بسيط يبيّن أصولها، ويزيّن فصولها، بعدما حفظها طلاب مقرأتنا العزيزة وترنّموا بها، لاسيما وأنّ الأخلاق هي ذروة الشريعة، ولبّ قلبها الماتع، ورحم الله الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حينما قال: لو أنني سئلت أن أُجمل فلسفة الدين الإسلاميَّ كلها في لفظين، لقلتُ أنها: ثبات الأخلاق.

ويكفي الأخلاق الحسنة شرفا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أثنى بها على سيد الوجود محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4].

وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن مكانتها فقال: «أكثر ما يدخل الناس الجنة، تقوى الله، وحسن الخلق»[1].

وقال: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[2].

---

1 - أخرجه الترمذي (2004)، وأحمد (9694)، والبخاري في (الأدب المفرد) (289) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 -أحمد (25013) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (4798) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال الآخر:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

وإنّ من أعظم الأرزاق حسن الأخلاق، فقد قال الشاعر حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإذا رُزقتَ خليقةً محمودةً فقدِ اصطفاك مقسِّمُ الأرزاقِ

فالنّاسُ هذا حظُّه مالٌ وذا علمٌ وذاك مكارمُ الأخلاقِ

وقد اقتصرت فيه على ذكر آية أو آيتين من الذّكر الحكيم في كلّ خلق، وإيراد حديث أوحديثين مع تعليق بسيط، ولربما أوردت بعض الأشعار الرائقة، ولم أُطل فيه رغبة ليكون عونا للمشايخ المربّين، ولأبناء وبنات المسلمين الصالحين، ليحفظوه فيكون لهم عونا وزادا، وحصنا قويا وعتادا، والله أسأل أن يجعله لوجهه خالصا، وعن كل مايشوبه من نقصٍ قالصا، آمين.

قال الناظم وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

01 - الْحَمْـــدُ لِلّٰهِ الَّذِي قَـــدْ وَهَبَـــا عِبَـــادَهُ الْمُقَرَّبِـــينَ الْأَدَبَـــا

بدأ الناظم نظمه بالثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما هو أهله، اقتداء بالكتاب العزيز، وبما كان يبدأ به سيد الخلق كتبه وخطبه،فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيهِ بالحَمدِ أقْطَعُ»[1].

قال الإمام قال أبو جعفر الطبري: ومعنى «الْحَمْدُ لِلَّه»: الشكر خالصًا لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كلِّ ما برَأَ من خلقه بما أنعم على عباده من النِّعم التي لا يُحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلَّفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وَغذَاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم لذلك عليه، ومع ما نبَّههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدِّية إلى دوام الخلود في دار المُقام في النعيم المقيم. فلربِّنا الحمدُ على ذلك كله أولا وآخرًا»[2]

فهو الواهب لكل النعم وأجلها نعمة الإيمان، والأخلاق الحسنة، فهو الذي رزق عباده المقرّبين حسن الأدب، الذي هو مجمع الأخلاق والأذواق، والمقربون هم السابقون لكل فضيلة وبر، المنصرفون عن كلّ رذيلة وشر، يقْدُمهم في ذلك حبيب الحقّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما روي عنه أنه قال: «أَدَّبَنِي ربّي، فأحسن تأْدِيبِي»[3] أي علّمني رياضة النّفس ومحاسن الأخلاق الظّاهرة والباطنة، والأدب ما يحصل للنّفس من الأخلاق الحسنة والعلوم المكتسبة، وفي شرح النّوابغ: هو ما يؤدّي بالنّاس إلى

1 - رواه الإمام أحمد في «المسند» (8712)، وأخرجه أبو داود (4840) باختلاف يسير، والنسائي في «السنن الكبرى» (10328)، وابن ماجه (1894) واللفظ له، وأحمد بنحوه. وقد روي الحديث بألفاظ أخرى وقد حَسَّن الحديث أو صححه جماعة من العلماء، فقد حسنه النّووي وابن حجر، وصححه ابن دقيق العبد وابن الملقن.

2 - جامع البيان عن تأويل آي القرءان للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (1/76).

3 - ضعيف جدا: كما في المقاصد الحسنة (1/739) رقم:45.

المحامد أي يدعوهم «فأحسن تأديبي» بإفضاله عليّ بالعلوم الكسبية والوهبية بما لم يقع نظيره لأحد من البشر. قال بعضهم: أدبه بآداب العبودية وهذبه بمكارم أخلاق الربوبية ولما أراد إرساله ليكون ظاهر عبوديته مرآة للعالم كقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي»[1] وباطن حاله مرآة للصادقين في متابعته وللصديقين في السير إليه ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: 31].

وقال القرطبي: حفظه الله من صغره،وتولى تأديبه بنفسه، ولم يكله في شيء من ذلك لغيره، ولم يزل الله يفعل به حتى كرَّه إليه أحوال الجاهلية،وحماه منها فلم يجر عليه شيء منها كل ذلك لطف به وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه» انتهى [2]..

والأدب: مصدر من أَدِبَ الرجل بكسر الدال وضمها إذا صار أديبا ذا خلق أو عمل، والأدب عرفا: هو استعمال مايحمد قولا أو فعلا.

والأدب من الكلمات القلائل التي تحمل المعنى الشامل للإسلام كله، فإن الأدب: أدب مع الله ورسوله، وعامة الناس مسلمهم وكافرهم، والعبد مع نفسه، بل مخلوقات الله جميعا بما في ذلك الحيوانات [3].

ومن حُرِم الأدب، فقد حرم جوهر الشريعة وطِبَّها، وقلب الحقائق ولُبَّها، لأن الأدب ملكة تعصم العبد عما يشينه، وتحمله على كل مايَزينه، قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لاينبل الرجل بنوع من العلم، مالم يزين علمه الأدب»[4].

قال الشاعر:

قَد يَنفَعُ الأدب الأحداثَ في صِغرٍ ... وليسَ يَنفَعُ عندَ الشيبةِ الأدبُ

إِنّ الغُصونَ إِذا قَوّمتَها اعتَـدَلَتْ ... ولن تلينَ إذا قوّمتَها الخُشُبُ

---

1 - رواه البخاري(631)

2 - فيض القدير للمناوي (1/224).

3 - انظر فقه الآداب للشيخ يوسف القرضاوي (21).

4 - رواه البيهقي في شعب الإيمان (1567).

02 - ثُـمَّ الصَّـلَاةُ بِالسَّـلَامِ تَلْتَـقِي عَلَى نَبِيِّنَـا عَظِيـمِ الْخُلُـقِ

ثم ثنّى بالصّلاة والسّلام على سيّد الخلق، وحبيب الحقّ، الذي ملك ناصية الأخلاق وذروتها، وأتم الله به على الخلق فضلها ونعمتها، فقال في شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: 4].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1]،وفي رواية:«لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

والصّلاة من الله على نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي ثناؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه في الملإ الأعلى كما قال أبو العالية.

03 - وَبَعْـدُ: هَـاكَ أَحْسَـنَ الْأَخْـلَاقِ يَـرْقَى بِهَـا صَاحِبُهَـا الْمَـرَاقِي

أي وبعد الثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والصلاة والسلام على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هاك: اسم فعل أمر بمعنى خذ: منظومة وحذفت للعلم بها، لأن الأخلاق الحسنة هي تلك المعاني والقيم السامية التي يتجمل بها المسلم، ويتحلى بها ظاهرا وباطنا، وقد جمع لك ناصيتها في هذا النظم الذي من أخذ بمضمونه ارتقى أعلى المراقي أي الدّرجات العظيمة في الدّنيا والآخرة، وذلك مصداقا لحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل: «إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقا»[3].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إن من أحبّكم إليَّ،وأقربكم منّي مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا» [4].

---

1 - مسند الإمام أحمد بن حنبل (8952)، والسنن الكبرى للبيهقي (21303)، ومصنف ابن أبي شيبة، (31773).

2 - أخرجه مالك في الموطأ بلاغا (2/904، رقم 1609) قال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح، وأحمد (8939)، والبخاري في (الأدب المفرد) (273) واللفظ لهما، والبزار (8949) باختلاف يسير وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (2833).

3 - رواه البخاري (3559)، ومسلم (6177)، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

4 - رواه الترمذي وقال حديث حسن. من حديث جابر بن عبدالله بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأيّ محبة هي أعظم من محبّة الله ورسوله لك، وأي قرب ومجلس هو أرقى من مجالسة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، اللّهمّ يامن زيّنت محمّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأرقى الأخلاق نسألك أحسنها ومصاحبة نبيك في عرصات القيامة، آمين.

04 - فَأَوَّلًا: رَاعِ مَعَ اللهِ الْأَدَبْ بِتَرْكِ الْإِثْمِ وَبِفِعْلِ مَا وَجَبْ

05 - وَحُسْنِ ظَنٍّ وَتَوَكُّلٍ رَجَا حُبٍّ وَتَوْحِيدٍ وَمَنْ خَافَ نَجَا

فأوّل الآداب السنية، والأخلاق المرعية، مراعاة الأدب مع رب البرية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لأنه المستحق لكلّ إجلال وتعظيم، المنزّه عن كل نقص و محال، قال القشيري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من لم يعرف ما لله جل وعلا عليه في نفسه، ولم يتأدّب بأمره ونهيه،: كان من الأدب في عزلة»[1]، ولايكون الأدب الكامل إلاّ:

بترك الاثم: أي ترك كل مايجلب الإثم للعبد من المعاصي والمنكرات الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية، ولايتمّ ذلك إلا بمراقبته جَلَّ جَلَالُهُ في كلّ خلوة أوجلوة، بحيث لاتغيب عنك مراقبته طرفة عين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾[الأنعام: 120].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «استحيوا مِن الله حقَّ الحياء»، قال: قلنا: يا رسول الله إنَّا لنستحيي، والحمد للَّه. قال: «ليس ذاك، ولكنَّ الاستحياء مِن الله حقَّ الحياء: أن تحفظ الرَّأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكَّر الموت والبِلَى، ومَن أراد الآخرة، ترك زينة الدُّنيا، فمَن فعل ذلك، فقد استحيا مِن الله حقَّ الحياء» [2].

بفعل ماوجب: عليك فعله ظاهرا وباطنا، قولا أوفعلا، وذلك لقوله

---

1 -الرسالة القشيرية (2/445).

2 - رواه التِّرمذي (2458) مِن حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: غريب. وحسَّن إسناده النَّووي في (المجموع) (5/105)، وحسَّنه الألباني في (صحيح التِّرمذي:2458).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: 7].

وعن أبي ثعلبة الخشني -جرثوم بن ناشرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمةً لكم غير نسيانٍ - فلا تبحثوا عنها» [1].

قال أبو بكر ابن السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: من عمل بهذا الحديث، فقد حاز الثواب، وأمن من العقاب؛ لأنّ من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل، وأوفى حقوق الدين؛ لأنّ الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة في هذا الحديث، وقال أيضًا: هذا الحديث أصل كبير من أصول الدّين وفروعه[2].

وحسن ظن: الظن نوعان حسن وسيء، ولاينبغي للعبد المؤمن أن يسيء ظنه في مولاه، بل يجب عليه أن يحسن الظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينال بذَالك مبتغاه من عفوه ورضا الكريم عليه.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[التوبة: 118].

وتأمل في قوله: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾[التوبة: 118]، فلما أحسنوا الظنّ بالله رزقهم الله إيّاه.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي» [3].

---

1 - حديث حسن، رواه الدارقطني في سننه (2/ 170، رقم 4443)،، وابن بطة في الإبانة الكبرى (1/ 407، 314)، والحاكم في المستدرك (4/ 115، رقم 7114)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 12)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (2/ 1045، رقم 2012).

2 -جامع العلوم والحكم (2/ 70).

3 - البخاري (7505) ومسلم(6981).

وفي المسند عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الله عزّ وجلّ قال: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله» [1].

والمعنى: «أعاملُه على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر»[2]
وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي لا إله غيرُه ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنَّه؛ ذلك بأنَّ الخيرَ في يده»[3].
قال سهل القطعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، فمحاها عني حسن الظن بالله» [4]..

وتوكُل: التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة كلّها.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق:3] قال السعدي: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به.. ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له، فلهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه.[5]

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ

---

1 - أخرجه ابن حبان (639) واللفظ له. وأصله في صحيح البخاري (7405)، ومسلم (2675) مطولاً دون قوله: «إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ».
2 - تحفة الأحوذي للمباركفوري (7/53).
3 - رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن (83).
4 - رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن(7).
5 - تيسير الكريم الرحمن للسعدي (826).

تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1].

قال المناوي: «(لو أنكم توكلون على الله حق توكله) بأن تعلموا يقينا أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم تسعون في الطلب على الوجه الجميل والتوكل إظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه (لرزقكم كما ترزق) بمثناة فوقية مضمومة أوله بضبط المصنف (الطير) زاد في رواية في جو السماء (تغدو خماصا) أي ضامرة البطون من الجوع جمع خميص أي جائع (وتروح) أي ترجع آخر النهار (بطانا) أي ممتلئة البطون... والمكلف العاقل أولى بالتوكل منه سيما من دخل إلى باب الاشتغال بأفضل الأعمال بعد الإيمان وهو طلب العلم» [2].

قال شيخ الإسلام الصابوني:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي و يقدر
متى ما يرد ذو العرش أمرا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بحمد الله من حيث يحذر

ورجا: الرجاء، قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الرّجاء هو النّظر إلى سعة رحمة الله، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرّبّ تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه. وقيل: هو الثّقة بجود الرّبّ تعالى». [3]

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[الإسراء:57] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: 53].

---

1 - صحيح: أخرجه الترمذي (2344)، وابن ماجه (4164)، وأحمد (205) واللفظ له.
2 - فيض القدير (5/311) بتصرف بسير.
3 - مدارج السالكين لابن القيم (2/36).

و عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تعالى يا بن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»[1].

يقول الشاعر أبو نواس:

يا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوك أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لاَ يَرْجُوكَ إِلاَّ مُحْسِنٌ ... فَمَن الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرم

أَدْعُوكَ رَبِّ كما أمرت تَضَرُّعاً ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ

مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلاّالرَّجَا ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمُ

وحُبٌّ: أي أن تحبّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتحب كل من يحبهما، أوعمل يقربك إلى محبتهما.

والحبّ: هو إيثار محبّة الله على ما سواه بالتزام أمره، واجتناب نهيه، واتّباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلّ كبير وصغير، وسلوك طريق المحبّين.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[البقرة:165]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: 54].

و عَنْ أَنَس عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[2].

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ- عن محبّة الله جلّ وعلا: «هي حياة القلوب وغذاء

1 - حسن لغيره: أخرجه الترمذي (3540) وقال حديث حسن، واللفظ له، وأحمد (13493) مختصراً بمعناه.

2 - البخاري (16).

الأرواح، وليس للقلب لذّة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلاّ بها، وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظمَ من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنفِ إذا فقد شمّه، واللّسان إذا فقد نُطْقَه، بل فساد القلب إذا خلا من محبّة فاطره وبارئه »[1].

يقول أبو فراس الحمداني:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وتوحيدٍ: التوحيد: هو إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾[النحل: 51].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد:19].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلت: يارسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ» [2].

ولقد وصى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذا فقال: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب – يعني: يا معاذ، إنك ستأتي قومًا من اليهود والنصارى – قال: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله»[3].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعِلْمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع، والعطاء

1 – الجواب الكافي لابن القيم (168).
2 – رواه البخاري (99).
3 – صحيح البخاري (7372).

والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة - يُثمِرُ له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلُّقَ هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفة غِناه وجوده وكرمه، وبِرِّه وإحسانه ورحمته - تُوجِبُ له سَعَةَ الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها» انتهى[1].

قال الحافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أوّلُ واجبٍ على العبيدِ ... معرفةُ الرّحمنِ بالتّوحيدِ
إذ هو من كلّ الأمور أعظمُ ... وهْوَ نَوْعَان أيَا من يفهمُ

ومَنْ خَافَ نَجَا: الخوف: الخوف: هو الحذر من المرهوب والمكروه، فالخوف من الله: خوف من عذابه ومن سخطه.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: 175] أي: إنّ الشيطان يخوفكم أولياءه، ويعظمهم في صدوركم؛ أي يجعل أولياءه مخوفين في قلوب النّاس، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾[آل عمران: 175] وهذا دليل على أنّ الخوف من غير الله منهيٌّ عنه، وأنّ الخوف من الله مأمور به، وهو شرط في صحة الإيمان.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء:57].

---

1 -مفتاح دار السعادة (2/ 510 - 513).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» [1].

ومن خاف من الله في الدّنيا أَمَّنهُ في الآخرة، وكان حظّه من ذلك النّجاة من خزي الله في الدنيا والعذاب في الآخرة.

ومن أراد الجنّة ولا سيما الفردوس الأعلى فإنّ عليه أن يبذل ما يوصله إليها من العمل الصالح ، ومن ذلك الهروب من معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى طاعته، كما يهرب الرجل من العدو في أول الليل لينجو.

06 - وَقِّــرْ نَبِيَّــهُ وَعَظِّــمْ سُــنَّتَهْ قَــدِّمْ عَلَى كُلِّ الْــوَرَى مَحَبَّتَــهْ

ثانيًا:

وقِّرْ نَبِيّه: يجب على كل مسلم بعد توقير ذي الجلال، توقير صاحب كريم الشمائل وعظيم الخصال، توقير النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتوقير هو: التعظيم والتبجيل والاحترام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:157]، فتوقيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيل الفلاح والنّجاة. وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:8 - 9].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغير واحد: (تعزّروه) يعظّموه،(وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام[2].

---

1 - أخرجه الترمذي (2450) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (7851) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في «التلخيص»: صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (6222).

2 - تفسير ابن كثير (4/ 185).

ولقد كان تعظيم الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا عظيما ومهيبا لهيبته صلوات ربي وسلامه عليه، فقد قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كان أحدٌ أحبَ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه» [1].

وعَظِّم سنّته: السنة هي: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، و تعظيم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك بالعمل بها قولا وفعلا، واتباع هديه، والاقتداء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع مناحي الحياة.

قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: 36]. وقال جلّ وعلا:﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء: 80].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعة ضلالة»[2].

قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا رأيَ لأحدٍ مع سُنّة سنَّها رسول الله –»[3].

وعن أبي قلابة قال: إذا حدَّثت الرجل بالسُّنة فقال: «دَعْنَا من هذا وهات كتاب الله، فاعلم أنّه ضّالّ» [4].

ويجب تقديم سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كلام وآراء سائر الخلق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:1].

---

1 - رواه مسلم (336).
2 - أخرجه أبو داود (4607) والترمذي (2676) وابن ماجه (44).
3 - الإبانة(1/246).
4 - أعلام الموقعين لابن القيم (2/282).

قدِّم على كلِّ الورَى محبّته: يجب تقديم محبّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبّة الخلق كلهم بما في ذلك والدي المرء المسلم. قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[الأحزاب: 6].

قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة 24].

وأول هذه الشواهد والدلائل طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباعه، فإن أقوى شاهد على صدق الحب - أيا كان نوعه - هو موافقة المحب لمحبوبه، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، ولذلك كان أكبر دليل على صدق الحب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو طاعته واتباعه، فالاتباع هو دليل المحبة الأول، وشاهدها الأمثل، بل كلما عظم الحب زادت الطاعة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالطاعة إذا هي ثمرة المحبة، ولذلك حسم القرآن دلائل المحبة لله ولرسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في آية المحنة وهي قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران 31]، فإذا كان الله عز وجل قد جعل اتباع نبيه دليلا على حبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو من باب أولى دليل على حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

وصدق القائل:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فالصادق في حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو من أطاعه واقتدى به، وآثر ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه.

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

وللمسلم أن يعتبر في ميزان الحب الحقيقي له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصة عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقد كان مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي''، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآنَ يَا عُمَرُ»[2].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم والحكم»: «فمن أحب الله ورسوله محبةً صادقةً من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكره الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك بأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله، أو ترك بعض ما يحب الله ورسوله مع وجوبه والقدرة عليه، دلّ ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك، ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة»[3].

قال خير الدين وائلي:

قالوا: تحبُّ المصطفى العَدْناني — قلتُ: اشهدوا فهو الحبيبُ الثاني
والأوّلُ اللهُ الذي خَصّه — بشفاعةٍ كبرى وبالقرآنِ

07 – وَبَرَّ وَالِدَيْكَ وَلْتُطِعْهُمَا — تَفُزْ وَصِلْ أَيَا بُنَيَّ الرَّحِمَا

وبَرَّ والديك: قال المناوي: «البِرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل

1 – البخاري (15) ومسلم (177).
2 – رواه البخاري (6632).
3 – جامع العلوم والحكم لابن رجب (389).

المرضي، الذي هو في تزكية النَّفس... يقال: بَرَّ العبدُ ربَّه. أي: توسَّع في طاعته... وبِرُّ الوالِد: التَّوسع في الإحسان إليه، وتحرِّي محابِّه، وتوقِّي مكارهِه، والرِّفقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البِرُّ في الصِّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه»[1].

ولتطعهما تفز: يجب على المسلم بر وطاعة الوالدين كليهما ولو كانا مشركين مالم يأمراه بمعصية، ومن أطاعهما وبرهما بالمعروف فاز في الدارين، ولم يكتب من العصاة البعداء، ولا الجبابرة الأشقياء.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:23].

قال أبو بكر بن الأنباري: هذا القضاء ليس من باب الحكم، إنما هو من باب الأمر والفرض.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[العنكبوت: 8].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال رجل: يا رسول الله، أي الناس أحق مني بحسن الصحبة؟ قال: (أمّك). قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك). قال: ثم من؟ قال: (أبوك)»[2].

و عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ، وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[3].

---

1 - التوقيف (ص 122).

2 - البخاري (5971)،ومسلم (2548)، وأحمد (9081)، وابن ماجة (3658،2706)، وابن حبان(434).

3 - صحيح: رواه أحمد في «المسند» (27511) وقال شيخنا شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، والترمذي (1900)، وابن ماجة (3663) وابن حبان (425) وصححه الألباني.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وغير خاف على عاقل حق المنعم، ولا منعم بعد الحق تعالى على العبد كالوالدين، فقد تحملت الأم بحمله أثقالاً كثيرة، ولقيت وقت وضعه مزعجات مثيرة، وبالغت في تربيته، وسهرت في مداراته، وأعرضت عن جميع شهواتها، وقدمته على نفسها في كل حال.

وقد ضمّ الأب إلى التسبب في إيجاده محبته بعد وجوده، وشفقته، وتربيته بالكسب له والإنفاق عليه.

والعاقل يعرف حق المحسن، ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المنعم من أخس صفاته، لا سيما إذا أضاف إلى جحد الحق المقابلة بسوء المنقلب، وليعلم البار بالوالدين أنه مهما بالغ في برهما لم يف بشكرهما» [1].

قال الشاعر:

قِمَّةُ الوُجْدَانِ بِرُّ الوالدَينْ فَرْضُ عَيْنٍ مِنْ إلَهِ العَالمِينْ
ذِكْرُهُ يُتْلَى بقُرآنٍ كَريمْ جَاءَ بالإيحَاءِ مِنْ وَحْيِ الأمينْ

وصل أيا يابنيّ الرحما: ماهي الرحم؟ الرحم: هي الصلة الجامعة بين الأقارب الَّذِينَ بينهم رحم ما، و الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة أمك، وأبيك، وهم المعنيون بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الأنفال والأحزاب: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال:75]و[الأحزاب:6].

وأقربهم: الآباء، والأمهات، والأجداد، والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمّات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ «أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»[2].

1 - كتاب بر الوالدين (1).
2 - أخرجه مسلم (6665).

ولقد أثنى الرحمن على الواصلين للرحم، ولعن القاطعين لها الممتنعين عن حقها، الساعين في إفساد طريقها، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[الرعد: 21].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[محمد: 22-23].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ومعنى «ينسأ لَهُ في أثرِهِ»، أي: يؤخر لَهُ في أجلِهِ وعمرِهِ.

08 - بَجِّلْ كَبِيرًا وَارْحَمِ الصَّغِيرَا وَسَاعِدِ الضَّعِيفَ وَالْفَقِيرَا

بجّل كبيرا: أي يجب عليك أيها المسلم أن تبجل أي تُجِلّ وتحترم الكبار، وتنزلهم منازلهم من السّبق إلى الإسلام والعيش في ظلال الطاعة، فإن البركة تلازم كبارنا لطول عهدهم بعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحسن الإسلام، وخاصَّةً إذا كان له شَرَفٌ بعِلْمٍ أو صَلاحٍ أو نَسَبٍ زَكِيّ، والكبير يحتاج إلى الرعاية والإحسان اكثر من غيره، فمنٍ تقدمت به السن رق عظمه، ووهت أركانه، ولربما خانه عقله فيحتاج إلى من يحسن إليه، والجزاء من جنس العمل فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند كبر سنه» [2]، هذا الحديث وإن كان ضعيفاً، لكن تجده مشاهداً بين النّاس.

وارحم الصَّغيرا: كما ينبغي للكبير أن يرحم الصغير، وأن يشفق عليه، ويوجهه للخير وينصح له رغبة في ما عند الله من أجر الناصح، فعن عبادة بن الصامت

1 - أخرجه: البخاري (73/3 -2067)، ومسلم (8/8 -2557) (21).
2 - رواه الترمذي وقال: حديث غريب(2022).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «ليس منَّا مَنْ لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحمْ صغيرَنا! ويَعْرِفْ لعالِمِنا حقَّهُ»[1].

قال المناوي -رَحِمَهُٱللَّهُ-: فيتعين أن يعامل كلا منهما بما يليق به، فيعطى الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه، ويعطى الكبير حقه من الشرف والتوقير.

قال الحافظ العراقي: فيه التوسعة للقادم على أهل المجلس إذا أمكن توسعهم له، سيما إن كان ممن أمر بإكرامه من الشيوخ شيبا أو علما، أو كونه كبير قوم. انتهى[2].

وساعد الضعيف والفقيرا: ويندب للمسلم مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين ما استطاع إلى ذَلِكَ سبيلا قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: 77]..

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[الإنسان: 8 - 9].

و عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ»[3].

في هذا الحديث يقول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ابغوني»، أي: اطلبوا لي «الضعفاء»، أي: الفقراء ومن لا يبالي الناس بهم لرثاثة حالهم وهيئتهم، وطلبه لهم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما يكون بالتقرب إليهم وتفقد حالهم، وحفظ حقوقهم والإحسان إليهم قولا وفعلا؛ «فإنما ترزقون»، أي: يرزقكم الله عز وجل، «وتنصرون»، أي: على عدوكم في المعارك ونحوها «بضعفائكم»، أي: بسبب كونهم بين أظهركم ورعايتكم لهم، وبركة

1- أخرجه أحمد (5/323، رقم 22807)، قال المنذرى في الترغيب (1/64): إسناده حسن. والحاكم (1/211، رقم 421) والضياء من طريق الطبرانى (8/361، رقم 445). قال الهيثمى (1/127): رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وإسناده حسن..

2 - فيض القدير (5/388).

3- رواه الترمذي (1702)، والنسائي (3179)، وأبوداود (2594)، وصححه الألباني انظر الصَّحِيحَة (779).

دعائهم، والنصرة بالضعفاء تكون مع أخذ الأمة بأسباب النّصر الأخرى أيضا؛ من إقامة دين الله جل وعلا، والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم التفرق أحزابا وشيعا، وغير ذلك من أسباب النّصر، وفيه بيان فضل ضعفاء المسلمين، وفيه: التحذير من التكبر على الفقراء والضعفاء، والحثّ على جبر خواطرهم، وعلى حبهم.

وعن عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلم، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، و لأنْ أَمْشِي مع أَخٍ لِي في حاجَةٍ أحبُّ إِلَيَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، و مَنْ كَفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، و مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، و لَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتّى تتَهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ» [1].

09 - وَكُنْ شُجَاعًا صَابِرًا كَرِيمَا وَشَاكِرًا وَفَطِنًا حَلِيمَا

وكن شجاعا: أي كن أيها المسلم قويًّا في دينك شجاعا مقداما، لايعتريك جبن عند وجوب الإقدام، ولايستفزك شيطان عند التريث والإحجام، واتّخذ الرأي الحصيف لجاما للشجاعة لتكون في موضعها المراد، حتى لاتخلط بين التهور والشجاعة.

قال الشاعر:

الرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشّجعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني
فَإِذا هُما اِجتَمَعا لِنَفسٍ مِرَّةٍ بَلَغَت مِنَ العَلياءِ كُلَّ مَكانِ
وَلَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أَقرانَهُ بِالرَأيِ قَبلَ تَطاعُنِ الأَقرانِ

1 - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6026)، وأبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (97) باختلاف يسير وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (906) خلاصة حكم المحدث: صحيح.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الأنفال: 15 - 16].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ...»[1].

صابرا: وكن صابرا على الشدائد والمصائب، مثابرا في الطاعات، مشمرا على ساعد الجد فيها، ملجما نفسك عن المعاصي، فتلك ثلاث يحسن فيها الصبر، ويعلو شأن الصابرين بتحصيل أجور لا حد لها، والصبر حبس النفس على المكاره، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: 200] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[البقرة:155]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: 153].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر» متفق عليه[2].

وللصبر مراتب ذكرها ابن القيم فقال:

إحداها: مرتبة الكمال، وهي مرتبة أولي العزائم، وهي الصبر لله وبالله.

فيكون في صبره مبتغيًا وجه الله صابرًا به، متبرئًا من حوله وقوته، فهذا أقوى المراتب وأرفعها وأفضلها.

الثانية: أن لا يكون فيه لا هذا ولا هذا، فهو أخس المراتب وأردأ الخلق، وهو جدير بكل خذلان وبكل حرمان.

الثالثة: مرتبة من فيه صبر بالله، وهو مستعين متوكل على حوله وقوته، متبرئ من

1 - رواه مسلم (6945). من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
2 - البخاري (1469) ومسلم (2471).

حوله هو وقوته، ولكن صبره ليس لله؛ إذ ليس صبره فيما هو مراد الله الديني منه، فهذا ينال مطلوبه ويظفر به، ولكن لا عاقبة له، وربما كانت عاقبته شرَّ العواقب، وفي هذا المقام خفراء الكفار وأرباب الأحوال الشيطانية، فإنَّ صبرهم بالله لا لله ولا في الله.

الرابع: من فيه صبر لله، لكنه ضعيف النصيب من الصبر به والتوكل عليه والثقة به والاعتماد عليه، فهذا له عاقبة حميدة، ولكنه ضعيف عاجز مخذول في كثير من مطالبه؛ لضعف نصيبه من﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: 5] فنصيبه من الله أقوى من نصيبه بالله، فهذا حال المؤمن الضعيف.

وصابر بالله لا لله: حال الفاجر القوي، وصابر لله وبالله: حال المؤمن القوي، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

فصابر لله وبالله: عزيز حميد، ومن ليس لله ولا بالله: مذموم مخذول، ومن هو بالله لا لله: قادر مذموم، ومن هو لله لا بالله: عاجز محمود[1].

قال الشاعر:

أخلق بذِي الصّبر أن ينال حاجته ... ومدمنُ القرع للأبواب أن يلجا

وقال آخر:

صبرًا جميلًا على ما ناب من حدثٍ ... والصبرُ ينفعُ أحيانًا إذا صبروا

الصبرُ أفضل شيءٍ تستعين به ... على الزمانِ إذا ما مسَّك الضررُ[2]

كريما: لأنّ الكرم هو: إيثار الغير بالخير[3]، وهو صفة عظيمة من صفات العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو أكرم الأكرمين، ونبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أكرم الخلق، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[البقرة: 273].

1 - مدارج السالكين لابن القيم (2/450).
2 - روضة العقلاء لابن حبان البستي (ص 161).
3 - معجم الفروق اللغوية (172-171) بتصرُّف.

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا حسَدَ إلَّا في اثنتَيْنِ: رجُلٍ آتاه اللهُ مالًا فسلَّطه على هلَكتِه في الحقِّ، ورجُلٍ آتاه اللهُ حِكمةً فهو يقضي بها ويُعلِّمُها» [1].

قال جعفر بن محمَّد الصَّادق: إنَّ لله وجوهًا مِن خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجُود مجدًا، والإفضال مغنمًا، والله يحبُّ مكارم الأخلاق.[2]

وقال بعض الحكماء: أصل المحاسن كلِّها الكَرَمُ، وأصل الكَرَم نزاهةُ النَّفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير مِن فروعه.[3]

قال أحمد بن محمَّد بن عبد الله اليماني:

سأبذلُ مالي كلَّما جاء طالبٌ ... وأجعلُه وقفًا على القرضِ والفرضِ

فإمَّا كريمًا صنتُ بالجُودِ عرضَه ... وإما لئيمًا صنتُ عن لؤمِه عرضي[4]

وشاكرا: لربّك على نعمه وإفضاله، فالشكر يزيد النعم كثرة، ويديم وجودها، ولايكون الشكر إلا بسائر الجوارح، أعني قلبا شاكرا، وأعضاء عاملة بالطاعة، ولسانا ذاكر حامدا ومثنيا على الشكور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ابن القيم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا، وعلى قلبه شهودا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادا وطاعة[5].

وخير ما قيل في تعريف الشّكر: عرفان الإحسان.

وقيل:الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: 152]،

1 - أخرجه البخاري (1409)، ومسلم(816).
2 - ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزَّمخشري (4/357).
3 - المستطرف للأبشيهي (ص 168).
4 - روضة العقلاء لابن حبَّان البستي (ص 238).
5 - مدارج السالكين (2/ 244).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: 13].

وعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ» [1].

وعن عبد اللَّهِ بن غنَّام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ رسولُ اللَّهِ: «منْ قالَ حين يُصبحُ: اللهُمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِكَ، فمنكَ وحدَكَ لا شريكَ لك، فلكَ الحمدُ، ولكَ الشكرُ، فقد أدَّى شكرَ يومه، ومنْ قال مثلَ ذلكَ حينَ يُمسي فقدْ أدَّى شكرَ ليلتِهِ»[2].

قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصبحت ومالي سرور إلا في انتظار مواقع القدر، إن تكن السّراء فعندي الشكر، وإن تكن الضّرّاء فعندي الصبر».

وكذلك ينبغي للمسلم أن يشكر كل من أسدى إليه معروفا، فإن ذلك من تمام شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لم يشكر النّاس لم يشكر الله» [3].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أعطي عطاء فوجد فليُجْزِ به، فإن لم يجد فليُثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر» [4].

قال الشاعر:

سَأَشكُرُ عمرًا إِن تَراخَت مَنِيّتي ... أَيادِيَ لَم تُمنَن وَإِن هي جَلّت

فَتىً غَيرُ مَحجوبِ الغِنى عَن صَديقِه ... وَلا مُظهِرُ الشَّكوى إِذا النَّعلُ زَلَّت

رَأى خَلَّتي مِن حَيثُ يَخفى مَكانها ... فَكانَت قَذى عَينَيهِ حَتّى تَجَلّت

---

1 - رواه مسلم (7449)، ابن حبان (2869).

2 - رواه أبو داود (5073)، وابن حبان (837)، والبيهقي في (شعب الايمان)(4368)، والنسائي (9739)، قال النووي في (الأذكار): رواه أبو داود بإسناد جيد لم يضعفه. قال الألباني: ضعيف (385).

3 - رواه الترمذي (1955) و قال: هذا حديث حسن صحيح.

4 - أخرجه أبو داود (4813) واللفظ له، والترمذي (2034) والحديث صحيح.

وفطنا: الفطنة: تعني العلم بالشَّيء من وجه غامض[1]، أو التَّنبُّه للشَّيء الذي يُقْصد معرفته[2]، أو كون المسلم لاينطلي عليه الخداع والحيل، ولاتمرّ عليه الفرص سبهللا.

والمسلم كيِّس فطن [3]، يتنبه للأمور ويحللها، لايخدعه مكر المخادع، ولاغفلة الصالح، يغوص في أعماق المعاني فيستخرج منها الدرر الكامنة، والأحكام القاضية، وماقصة نبي الله سليمان عنا ببعيد في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: 78-81].

وقد ورد في تفسيرها عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَرْمٌ قد أنبتت عَنَاقيده، فأفسدته. قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله! قال: وما ذاك؟ قال: تَدْفَع الكَرْمَ إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكَرْم، فيصيب منها، حتى إذا كان الكَرْم كما كان، دفعت الكَرْم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله(ففهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ)[4].

وقال ابن الجوزي: «كان لسليمان من الفِطْنَة ما بان بها الصَّواب في حُكْمه دون حُكْم أبيه في قصَّة الحرث وغيره، قال الله عزَّ وجلَّ: فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ»[5].

---

1 - الفروق اللغوية (1/85).
2 - الكليات (1/456)، ومعه التَّعريفات للجرجاني (ص143).
3 - وأما حديث المؤمن كيس فطن وإن كان معناه صحيحا إلا أن الحديث موضوع قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العامري: «حسن غريب»، وليس فيما زعمه بمصيب؛ بل فيه أبو داود النخعي كذاب»انتهى من «فيض القدير» (6/ 257)، وذكره الألباني في «الضعيفة» (760) وقال: «موضوع» انتهى.
4 - تفسير ابن كثير (3/248).
5 -التبصرة لابن الجوزي (1/296).

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لست بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعني».[1]

والخبّ هو: المخادع الغادر. فلا يكون المؤمن مخادعاً غادراً كما لا يسمح بأن يغدر به.

وأعظم فطنة ينبغي أن تكون عليها ألا تخدعك الدنيا فتخرج منها خاوي الوفاض، قليل البضاعة ليوم تعرض فيه الأعمال وتبتلى الأعراض، وتكشف السرائر، وتبدو مساوئ أو محاسن الأغراض ولقد أحسن من قال:

إِنَّ لِلَّهِ عِباداً فُطَنا تَرَكوا الدُنيا وَخافوا الفِتَنا
نَظَروا فيها فَلَمّا عَلِموا أَنَّها لَيسَت لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلوها لُجَّةً واتَّخَذوا صالِحَ الأَعمالِ فيها سُفُنا

حليما: والحلم هو التَّعَقُّلُ والتَّثبت في الأمور وترك العجلة، ولقد مدح الله أهل الحلم، و وردتْ آيات قرآنيَّة كثيرة تشير إلى صفة الحِلْم، ووصف الله نفسه بالحِلْم، وسمَّى نفسه الحليم، ووردت آيات تدعو المسلمين إلى التَّحلِّي بهذا الخُلُق النَّبيل،

---

1 - أخرجه ابنُ قتيبة، في «عيون الأخبار»، ووكيعٌ في «أخبار القضاة» (1/348)، ومن طريقه ابنُ عساكرَ، في «تاريخ دمشق» (10/19)، وأخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (3/418)، من طريق ابن النقور، أربعتُهم رووه من قول إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ بلفظ «لست بخِبٍّ، والخِبُّ لا يخدعني، ولا يخدع ابنَ سيرين، ويخدع الحَسَن، ويخدع أبا معاوية بن قرة، ويخدع عُمَرَ بْن عَبْد العزيز»، وهذا لفظ وكيع. وقد نسب المقولة إليه من قدماء الأدباء وغيرهم: الجاحظ في «البيان والتبيين» (68)، و«الحيوان»(2/279)، ونسبها إليه كذلك أبو طالب المكي، في «قوت القلوب» (2/444)، والزمخشري في «ربيع الأبرار»، والراغب في «محاضرات الأدباء»، والغزالي في «الإحياء» (2/80)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (8/42)، وهو من مدققي المحدثين والمؤرخين رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد نسبها ابن منظور في «لسان العرب»، والزبيدي في «تاج العروس» كلاهما في مادة (خبب) لابن سيرين. هذا؛ وقد اشتهر نسبة الأثر لأمير المؤمنين، أبي حفصٍ، عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعل ذلك لوقوعها في كتب شيخَي الإسلام: أبي العباس ابن تيمية، وأبي عبد الله ابن القيم معزوةً له، فقد وقعت في «مجموع الفتاوى» (5/265) «وإعلام الموقعين» (3/241) و«الروح» (ص244) وكذلك نسبها ابن عبد ربه لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أربعة مواضع من «العقد الفريد». والخِبُّ هو: المخادع الغادر؛ قال في «الصحاح»: «الخِبُّ: الرَّجل الخدَّاع الجُرْبُزُ، تقول منه: خَبِبْتَ يا رجُل تَخَبُّ خِبًّا، مثال عَلِمْت تعلم عِلمًا، وقد خَبَّبَ غلامي فلانٌ؛ أي خدعه» انتهى.

وعدم المعاملة بالمثل ومقابلة الإساءة بالإساءة، والحثِّ على الدَّفع بالتي هي أحسن، والتَّرغيب في الصَّفح عن الأذى والعفو عن الإساءة.

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: 133 - 134].

و قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشجِّ عبد القيس: «إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم والأَنَاة»[1]. وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التَّأنِّي مِن الله، والعجلة مِن الشَّيطان، وما أحدٌ أكثر معاذير مِن الله، وما مِن شيءٍ أحبُّ إلى الله مِن الحِلْم» [2].

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[3].

قال ابن بطَّال: «مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم، وأخبر أنَّ ما عنده خيرٌ وأبقى لهم مِن متاع الحياة الدُّنْيا وزينتها، وأثنى على الكاظمين الغيظ والعافين عن النَّاس، وأخبر أنَّه يحبُّهم بإحسانهم في ذلك»[4].
وقال ابن عبد البر: «في هذا الحديث مِن الفقه: فضل الحِلْم، وفيه دليلٌ على أنَّ الحِلْم: كتمان الغيظ، وأنَّ العاقل مَن مَلَك نفسه عند الغضب؛ لأنَّ العقل -في اللُّغة-: ضبط الشَّيء وحبسه منه» [5].

---

1 - رواه مسلم (18) مِن حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
2 - رواه أبو يعلى (7/247)، والبيهقي في (الشُّعب) (6/211)، والحارث بن أسامة في (مسنده) (2/828) كلُّهم بلفظ: (الحمد) بدلًا مِن (الحِلْم) مِن حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال المنذري في (التَّرغيب والتَّرهيب) (2/359) والهيثمي في (المجمع) (8/22): رجاله رجال الصَّحيح. وقال البوصيري في (إتحاف الخيرة) (6/31): رجال إسناده ثقات.
3 - رواه البخاري (6114)، ومسلم (2609).
4 - شرح صحيح البخاري لابن بطال (9/ 296).
5 - التمهيد (6/322).

و عن ابن عباس قال الحلم من الخلال التي ترضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تعالى وصف خليله بالحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود:75].

قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم ؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعدا بفناء داره مُحتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أُتي برجل مكتوف ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك ؟ فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له: يا بن أخي، أثِمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك[1].

قال الشاعر:

ألَا إنَّ حِلْمَ المرءِ أكبرُ نسْبــةٍ يُسامى بها عند الفخار كريمُ
فيا ربِّ هَبْ لي منك حِلْمًا فإنَّني أرى الحِلْمَ لم يندمْ عليه حليمُ

10 - وَذَا أَنَــاةٍ وَحَيَــاءٍ وَارْفُــقِ وَكُـنْ أَمِينًـا وَتَوَاضَـعْ وَاصْـدُقِ

وذا أناة: الأناة: هي التَّثبُّت وترك العَجَلَة.

قال أبو هلال العسكريُّ: الأناة: هي المبالغة في الرِّفق بالأمور والتَّسبُّب إليها). [2]

فعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأشجِّ أشجِّ عبد القيس: «إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة» [3].

قال القاضي عياض: «الأناة: تربُّصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحِلْم: هذا القول الذي قاله، الدَّال على صحَّة عقله، وجودة نظره للعواقب، قلت: ولا يخالف هذا ما جاء في مسند أبي يعلى وغيره: أنَّه لما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأشجِّ: «إنَّ

1 - البداية والنهاية لابن كثير (11/176).
2 - الفروق اللغوية (1/204)، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين(3/573).
3 - تقدم تخريجه في الحلم.

فيك خصلتين...» الحديث، قال: يا رسول الله، كانا فيَّ أم حدثا؟ قال: «بل قديم»، قال: قلت: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبُّهما».

وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يعاتبه في التَّأنِّي، فكتب إليه معاوية: «أما بعد، فإنَّ التَّفهُّم في الخبر زيادة ورشد، وإنَّ الرَّاشد مَن رشد عن العَجَلَة، وإنَّ الخائب مَن خاب عن الأناة، وإنَّ المتثبِّت مصيب، أو كاد أن يكون مصيبًا، وإنَّ العَجِل مخطئٌ أو كاد أن يكون مخطئًا»[1]. و قال أبو عثمان بن الحداد: «مَن تأنَّى وتثبَّت تهيَّأ له مِن الصَّواب ما لا يتهيَّأ لصاحب البديهة»[2].

قال القطامي عمرو بن شييم:

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّللُ

وربَّما فات قومًا بعضُ أمرِهمُ ... مِن التَّأنِّي وكان الحزمُ لو عجلوا

وحياء: أي وصاحب حياء، والحياء هو: خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ[3].

والحياء شعبة من شعب الإيمان، يزيد المسلم جمالا ورزانة، وتتزين به المسلمة فتتلألأ عفة ونبلا وطهارة، ولقد قص علينا الباري عن ابنتي شعيب وذكر أعلى قمةٍ شمَّاءَ في خلقها فنوَّه بحيائها قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[القصص: 25].

قال مجاهد: «يعْني: واضعةً ثوبها على وجهها ليست بخرَّاجةٍ ولا وَلَّاجةٍ»[4].
قال الطَّبري: «فأَتَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ»، وهي تسْتَحْيِي منه[5].

---

1 - شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي:(8/1533).
2 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(2/1127).
3 - فتح الباري(1/52).
4 - تفسير مجاهد (ص529).
5 - جامع البيان للطبري (18/221).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستُّون- شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطَّريق، والحياء شعبة مِن الإيمان».[1]

وعن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنَّ ممَّا أدرك النَّاس مِن كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».[2]

قال أبو عبيدة النَّاجي: سمعت الحسن يقول: «الحَيَاء والتَّكرُّم خصلتان مِن خصال الخير، لم يكونا في عبد إلَّا رفعه الله عزَّ وجلَّ بهما»[3].

قال الشَّاعر:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ... ولم تستحِ فاصنعْ ما تشاءُ

فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقَى العودُ ما بقي اللِّحاءُ[4]

وارفق: أي عليك أيها المسلم بالرفق، والرفق هو: لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف[5].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: 159]..

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: 43-44].

---

1 - رواه مسلم(35).
2 - رواه البخاري (6120).
3 - مكارم الأخلاق لابن أبي الدُّنْيا (1/43).
4 - أدب الدنيا والدين للماوردي (2/103).
5 - فتح الباري لابن حجر (10/449).

فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ أي: سهلًا لطيفًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف[1]،ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، لَّعَلَّهُ بسبب القول اللين يَتَذَكَّرُ ما ينفعه فيأتيه، أَوْ يَخْشَى ما يضره فيتركه، فإنَّ القول اللّيّن داعٍ لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه.[2]

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من يحرم الرِّفق يحرم الخير».[3]

«يعني أنَّ الإنسان إذا حرم الرِّفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنَّه يحرم الخير كله، أي: فيما تصرَّف فيه، فإذا تصرَّف الإنسان بالعنف والشدة، فإنَّه يحرم الخير فيما فعل، وهذا شيء مجرَّبٌ ومشاهد، أنَّ الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشِّدَّة؛ فإنَّه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرِّفق والحلم والأناة وسعة الصّدر؛ حصل على خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائمًا رفيقًا حتّى ينال الخير». [4]

قال ابن حجر: «لا يتعمّق أحد في الأعمال الدّينية ويترك الرِّفق، إلاّ عجز وانقطع فيغلب»[5].

قال الشاعر:

خذِ الأمورَ برفقٍ واتئــدْ أبدًا ... إياك مِن عجلٍ يدعو إلى وصــبِ

الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به ... يصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو مِن العطبِ[6]

وكن أمينا: وكن أيّها المسلم ثقة أمينا، والأمانة: هي كلُّ حقٍّ لزمك أداؤه

---

1 - الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. انظر: لسان العرب لابن منظور (9/196).

2 - تيسير الكريم الرحمن للسعدي (506).

3 - رواه مسلم (2592).

4 - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (3/592).

5 - فتح الباري لابن حجر (1/94).

6 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني (5/582).

وحفظه[1]، وقيل هي: «التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه»[2].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: 58].

قال الشوكاني: «وأجمعوا على أنَّ الأمانات مردودة إلى أربابها: الأبرار منهم والفجار، كما قال ابن المنذر»[3].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذكر صفات المفلحين ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[المؤمنون: 8] أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربِّه، كالتَّكاليف السِّرِّيَّة، التي لا يطَّلع عليها إلَّا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار[4].

و عن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أخبرني أبو سفيان أنَّ هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنَّه يأمر بالصَّلاة والصِّدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمَانَة. قال: وهذه صفة نبي» [5].

- وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[6].

«يعني إذا ائتمنه النَّاس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء مِن هذه الأشياء فإنَّه يخون -والعياذ بالله-، فهذه مِن علامات النِّفاق».[7]

1 - فيض القدير للمناوي (1/288).
2 - تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص 24).
3 - فتح القدير (1/719).
4 - تيسير الكريم الرَّحمن للسعدي (ص 887).
5 - رواه البخاري (7).
6 - رواه البخاري (33)، ومسلم (59) مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
7 - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (4/48).

قال أبو بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أصدق الصِّدق الأمَانَة، وأكذب الكذب الخيانة»[1]

- وعن ابن أبي نجيح قال: «لمَّا أُتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول: والله إنَّ الذي أدَّى إلينا هَذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدُّون إليك ما أدَّيت إلى الله فإذا رتعت رتعوا. قال: صدقت» [2].

وعن هشام أنَّ عمر قال: «لا تغرُّني صلاة امرئ ولا صومه، مَن شاء صام، ومَن شاء صلى، لا دين لمن لا أمانة له»[3].

قال صالح بن عبد القدوس:

أدِّ الأمَانَة والخيانة فاجْتَنِبْ ... واعْدِلْ ولا تظلمْ، يَطِبْ لك مكسبُ

وإذا بُلِيْتَ بِنكبَةٍ فاصبرْ لها ... مَن ذا رأيت مسلَّمًا لا يُنكَبُ [4]

وتواضع: كن أيها المسلم متواضعا، هيّنا ليّنا، سمحا لطيفا، والتواضع: هو ترك التَّرؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التَّعظيم، والزِّيادة في الإكرام، وأن يتجنَّب الإنسان المباهاة بما فيه مِن الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرَّز مِن الإعجاب والكِبْر[5].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[الفرقان: 63]، قال ابن القيِّم: «أي: سكينة ووقارًا، متواضعين غير أشرين ولا مَرِحين ولا متكبِّرين، قال الحسن: علماء حلماء. وقال محمَّد بن الحنفيَّة: أصحاب وقار وعفَّة، لا يسفِّهون، وإن سُفِه عليهم حلموا. والهَوْن -بالفتح- في اللُّغة: الرِّفق واللِّين، والهُون -بالضَّم-: الهَوَان فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان، والمضموم صفة أهل الكُفْران،

1 - روى نحوه البيهقي في السنن الكبرى (13009).
2 - عيون الأخبار لابن قتيبة (1/115).
3 - رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (162).
4 - مجموعة القصائد الزهديات (2/481)
5 - تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص 25).

وجزاؤهم مِن الله النِّيران» [1].

وقال قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نقصت صدقة مِن مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله» [2].

قال القاضي عياض في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وما تواضع أحد لله إلَّا رفعه الله» «فيه وجهان: أحدهما: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمنحه ذلك في الدُّنْيا جزاءً على تواضعه له، وأنَّ تواضعه يُثْبِتُ له في القلوب محبَّةً ومكانةً وعزَّةً».

والثَّاني: أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه[3].

قال الشاعر:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تكُ كالدخّان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجوّ وهو وضيع[4]

واصدُقِ: عليك بالصِّدق أيّها الفاضل فإنّك بالصّدق تكتب في علّيين، وينادى عليك في الصادقين، والصدق:هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب[5].

وقال الراغب الأصفهاني: «الصّدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا» [6].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

---

1 - مدارج السَّالكين (3/108).
2 - رواه مسلم (2588) مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
3 - إكمال المعْلِم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض (8/59).
4 - مجموعة القصائد الزهديات (2/481).
5 - الواضح في أصول الفقه لابن عقيل (1/129).
6 - الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص 270).

«أي: اصدُقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا»[1].

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «إنَّ الصدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، وإنَّ الرجل ليصدق حتى يكون صِدِّيقًا، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا» [2].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: «قال العلماء: هذا فيه حث على تحرِّي الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه؛ فإنَّه إذا تساهل فيه كثر منه، فعرف به، وكتبه الله لمبالغته صِدِّيقًا إن اعتاده، أو كذَّابًا إن اعتاده. ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتبه في ذلك؛ ليشتهر بحظِّه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، وكما يوضع له القبول والبغضاء، وإلا فقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكتابه السابق بكلِّ ذلك»[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة»[4].

قال الشاعر:

ما أحسن الصِّدق في الدّنيا لقائله وأقبح الكذب عند الله والنّاس

---

1 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (4/230).
2 - رواه البخاري (6094)، ومسلم(2607).
3 - شرح صحيح مسلم (243-16/241).
4 - رواه أحمد (2/177) (6652)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (6/449). وحسن إسناده المنذري في (الترغيب والترهيب) (3/16)، والهيثمي في (مجمع الزوائد) (10/298)، وصححه الألباني في (صحيح الترغيب) (1718).

11 - تَحَــلَّ بِالْعَــدْلِ وَبِالْإِحْسَــانِ وَالْعَفْــوِ وَالْوَفَــاءِ وَالإِتْقَــانِ

تحلّ بالعدل: أي كن متحليّا بحلية العدل فإنّها تورثك الرفعة والقسط، وتبعدك عن الظلم والشطط، والعدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور، وما قام في النّفوس أنّه مستقيم، وقيل هو: «استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها، ووجوهها، ومقاديرها، من غير سرف، ولا تقصير، ولا تقديم، ولا تأخير»[1].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90].

قال السعدي: «فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقِّه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أنّ تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب».[2]

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ المقسطين يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا[3]»[4].

وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيُّها النّاس،

1 -تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص 28).
2 - تفسير الكريم الرحمن (ص 447).
3 - أي: كانت لهم عليه ولاية. (شرح النووي على مسلم) (12/ 211).
4 - رواه مسلم (1827).

إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحقُّ، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدَّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحقّ وأخذًا بالعدل».[1]

- وقال ابن حزم: «أفضل نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحقِّ وإيثاره»[2].

وبالإحسان: أي وتحلّ بالإحسان، والإحسان: ضِدُّ الإساءة، وهو نوعان:

- إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّ الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها.

- وإحسانٌ في حقوق الخَلْق، هو بذل جميع المنافع مِن أي نوعٍ كان، لأي مخلوق يكون، ولكنَّه يتفاوت بتفاوت المحْسَن إليهم، وحقِّهم ومقامهم، وبحسب الإحْسَان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحْسِن وإخلاصه، والسَّبب الدَّاعي لهإلى ذلك[3].

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90].

قال السعدي: «الإحْسَان فضيلة مستحبٌّ، وذلك كنفع النَّاس بالمال والبدن والعِلْم، وغير ذلك مِن أنواع النَّفع حتى إنَّه يدخل فيه الإحْسَان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره»[4].

وقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[القصص: 77].

---

1 - العقد الفريد لابن عبد ربه (1/27).
2 - الأخلاق والسير (ص 90).
3 - بهجة قلوب الأبرار للسعدي (204- 206).
4 - تيسير الكريم الرحمن (ص 447).

قال الشَّوكاني في تفسير قوله: وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ: «أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بما أنعم به عليك مِن نعم الدُّنْيا»[1].

وعن شدَّاد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: «إنَّ الله كتب الإحْسَان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح، وليُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَه، فليُرح ذبيحته» [2].

قال المباركفوري: «قوله: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء» أي: إلى كلِّ شيء، أو (على) بمعنى: في، أي: أمركم بالإحْسَان في كلِّ شيء، والمراد منه العموم الشَّامل للإنسان حيًّا وميتًا. قال الطِّيبي: أي أوجب مبالغة؛ لأنَّ الإحْسَان هنا مستحبٌّ، وضمَّن الإحْسَان معنى التَّفضُّل وعدَّاه بعلى. والمراد بالتَّفضُّل: إراحة الذَّبيحة بتحديد الشَّفرة، وتعجيل إمرارها وغيره. وقال الشُّمُنِّيُّ: على- هنا- بمعنى اللام متعلِّقة بالإحْسَان، ولا بدَّ مِن على أخرى محذوفة بمعنى: الاستعلاء المجازي، متعلِّقة بكَتَبَ، والتَّقدير: كَتَبَ على النَّاس الإحْسَان لكلِّ شيء». [3]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِن منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: منزلة الإحْسَان؛ وهي لبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل، فجميعها منطوية فيها، وكلُّ ما قيل مِن أوَّل الكتاب إلى هاهنا فهو مِن الإحْسَان»[4].

- وقال رجلٌ لأحد السّلاطين: «أحقُّ النَّاس بالإحْسَان مَن أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف مَن بُسِطت القدرة بين يديه؛ فاسْتَدِم ما أوتيت مِن النِّعم بتأدية ما عليك مِن الحقِّ»[5].

---

1 - فتح القدير للشَّوكاني (4/261).
2 - رواه مسلم (1955).
3 - تحفة الأحوذي للمباركفوري (665-4/664).
4 - مدارج السَّالكين لابن القيِّم (3/319).
5 - عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (3/20).

قال أبو الفتح البستي:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ ... وربحُه غيرَ محضِ الخير خسرانُ
أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهم ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إِحسانُ
مَن جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسانِ فتَّانُ
أَحْسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقْدِرَةٌ ... فلن يدومَ على الإنسان إِمكانُ
حيَّاك مَن لم تكنْ ترجو تحيَّتَه ... لولا الدَّراهمُ ما حيَّاك إنسانُ

والعفو: أي وتحلّ أيها المبارك بالعفو، والعفو هو: والعَفْوُ هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وعفوت عن الحق: أسقطته، كأنك محوته عن الذي عليه[1].

- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[النور: 22].

قال ابن كثير: «هذه الآية نزلت في الصدِّيق، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح ابن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما أنزل الله براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على مَن كان تكلَّم من المؤمنين في ذلك، وأُقيم الحدُّ على مَن أُقيم عليه، شَرَع تبارك وتعالى، وله الفضل والمنة، يُعطِّفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه، وهو مِسْطَح بن أثاثة، فإنَّه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها، وضُرب الحدَّ عليها. وكان الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أي: فإنَّ الجزاء من جنس

1 - تحفة الأحوذي للمباركفوري (6/143).

العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنَّا نحبُّ -يا ربنا -أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا، فلهذا كان الصديق هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن بنته» [1].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 134]، يدخل في العفو عن الناس، العفو عن كلِّ من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم؛ لأنَّ العفو ترك المؤاخذة مع السماحة عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن تحلَّى بالأخلاق الجميلة، وتخلَّى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وكراهة لحصول الشرِّ عليهم، وليعفوالله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: 40].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» [2].

قال القاضي عياض: وقوله: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا» فيه وجهان:

أحدهما: ظاهره أنَّ من عُرف بالصفح والعفو ساد وعظم في القلوب وزاد عزه.

الثّاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزّته هناك[3].

وقيل لأبي الدرداء: مَن أعزُّ الناس؟ فقال: «الذين يعفون إذا قدروا؛ فاعفوا يعزّكم الله تعالى»[4].

---

1 - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (6/31).
2 - رواه مسلم (2588).
3 - إكمال المعلم (8/28).
4 - نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (6/58).

قال الإمام الشّافعيّ:

لما عفوت ولم أحقدْ على أحد ... أرحتُ نفسي من هَمِّ العداواتِ
إِني أُحَيِّ عدوي عند رؤيتِه ... لأدفعَ الشَّرَّ عنّي بالتّحـياتِ
وأُظْهِرُ البِشْرَ للإنسان أبغضُه ... كأنما قد حَشَى قلبي مَحَبَّاتِ
النّاسُ داءٌ ودواءُ النّاس قُرْبُهم ... وفي اعتزالهمُ قطعُ المـودّاتِ

والوفاء: خلق يبعث على المودة والصفاء، واستدامة المحبة والإخاء، لأنّ الوفاء هو: «ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء»[1].

وقيل: «هو الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه، والخروج مما يضمنه، وإن كان مجحفًا به»[2].

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: 34].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: «وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضًا، والبيوع والأشربة والإجارات، وغير ذلك من العقود ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: 34] يقول: إن الله جلَّ ثناؤه سائلٌ ناقضَ العهد، عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أنَّ العهد كان مطلوبًا».[3]

وصاحِبُ الوَفاءِ الأَوْفَى والأَعْلَى هو اللهُ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: 111]؛ وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة: 40]؛

1 - انظر:التعريفات للجرجاني (ص 253). والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص 339).
2 - تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص 24).
3 - تفسير الطبري (17/444).

وقال أيضًا: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[البقرة: 80].

ومِنْ دُعاءِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاةِ الجنازَةِ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ؛ فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ»[1].

ولِلوَفاءِ مَراتِبُ ثَلَاثَةٌ:

أَوَّلُها: أنْ يَفِيَ الإنسانُ لِمَنْ يَفِي له؛ وهذا فَرْضٌ لازِم.

وثانِيها: الوَفاءُ لِمَنْ غَدَرَ؛ وفي الحديث: «وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[2].

فَمَنْ شِيمَتُه الوَفاء؛ يَفِي لِلصَّديقِ والعدوّ، ومَنْ طَبِيعتُه الغَدْر؛ لا يَفِي لأحَدٍ.

وثالِثُها: الوفاء بعدَ حُلولِ الموت؛ وهو أَحْسَنُ مِنَ الوفاءِ حالَ الحياة، ومع رَجاءِ اللِّقاء.

والأوفياء هم خلص الصّادقين في كلّ أمورهم، ذلكم أنّهم يوفون بما التزموا به من الحبّ والمعاملة الحسنة النّقيّة التي لاتمحوها الليالي، ولاتنسيها الأيام حتى ولو كان البعد قاضيا على فراق الأشباح، فلايزال الوفيّ تتردد أنفاسه بندى لحظات الأخوة والعطاء.

قال ابن حزم: «إنَّ من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق... الوفاء؛ وإنَّه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات... وأول مراتب الوفاء أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب... لا يحول عنه إلا خبيث المحتد، لا خلاق له ولا خير عنده» [3].

---

1 - أبو داود (3202).

2 - أخرجه أبو داود (4084) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (10149) أوله. والحديث صحيح.

3 - طوق الحمامة (ص 205). بتصرف.

- وقال أيضًا: «الوفاء مركب من العدل، والجود، والنّجدة؛ لأنَّ الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه؛ فعدل في ذلك، ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ؛ فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلَّد لما يتوقَّع من عاقبة الوفاء؛ فشجع في ذلك» [1].

قصة عجيبة في الوفاء بالعهد:

يذكر أن امرؤ القيس الكندي، لما أراد المضي إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعًا وسلاحًا، وأمتعة تساوي من المال جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس، أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل، فقال السموأل: لا أدفعها إلا لمستحقها. وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده فأبى، وقال: لا أغدر بذمتي، ولا أخون أمانتي، ولا أترك الوفاء الواجب علي. فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل السموأل في حصنه، وامتنع به. فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل. فأشرف عليه من أعلى الحصن. فلما رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وها هو معي، فإن سلمت إليَّ الدروع والسلاح التي لامرئ القيس عندك، رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت. فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامي، وأبطل وفائي، فاصنع ما شئت، فذبح ولده وهو ينظر، ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموأل ذبح ولده وصبر، محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده وبقائه، فصارت الأمثال في الوفاء تضرب بالسموأل، وإذا مدحوا أهل الوفاء في الأنام ذكر السموأل في الأول. وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتقله بيديه، وأغلى قيمة من جعله نصب عينيه، واستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، واستطلق الأيدي المقبوضة عنه بالإحسان إليه[2].

1 - الأخلاق والسير (ص 145).
2 - المستطرف للأبشيهي (1/432).

والإتقان: الإتقان علامة على صحّة النّيّة الصّادقة في تجويد الأعمال وإقامتها على الوجه الحسن، وقد عرّفه السّادة الأعلام بأنّه: إتقان العمل يعني إتمام وإنجاز العمل المطلوب من الشخص حسب طلب الشخص دون نقص، ولكن بشكل كامل وجهد لتنفيذه في الوقت المطلوب.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة: 105].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ»[1]

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[2].

12 - صُنِ اللِّسَانَ وَاحْفَظِ الْجَوَارِحَا أَحِبَّ كُلَّ مُسْلِمٍ كُنْ نَاصِحًا

صُنِ اللِّسَانَ: صون الجوارح عن المعاصي والخطايا هو دأب الصالحين، ودرب السَّالكين إلى ربّ العالمين وإن من أخطر تلك الجوارح اللسان، فإنه مامن يوم تطلع فيه الشمس إلا وتناشد الجوارح اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، فعن أبي سعيد الخدري - مرفوعًا - قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلّها تكفِّر اللّسان، فتقول: اتّق الله فينا، فإنّما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن عوججتَ اعوججنا»[3].

ولقد حذرنا نبيّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خطر اللسان وأنه يورد صاحبه الموارد ويكبه على وجهه في نار جهنم ففي حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، وفيه: «فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟! قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ

1 - أخرجه أبو يعلى وقال حسين سليم أسد: إسناده لين، وأخرجه الطبراني في الأوسط 897، وقد صححه الألباني في الصحيحة نظرا لشواهده.
2 - رواه مسلم (1955).
3 - أخرجه الترمذي برقم (2407). ومعنى تكفر اللسان: أي تذل له وتخضع.

يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»[1].

واللِّسان عضلة، وخلفه كلُّ معضلة، فما أكثرَ ما نتكلم به، وما أقلّ ما نتثبّت فيه، إلاَّ من رحم الله؛ فلقد جعل المصطفى حقيقة المسلم تتمثل في حفظه للسانه ويده فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2].

وقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن كان الكلام من فضةٍ، فالسكوت من ذهبٍ».[3].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي اللسان آفتان عظيمَتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كلٌّ منهما أعظمَ إثمًا مِن الأخرى في وقتِها، فالساكت عن الحق شيطانٌ أخرسُ عاصٍ الله، مُراءٍ مُداهنٌ؛ إذا لم يخَف على نفسه، والمتكلِّم بالباطل شيطانٌ ناطقٌ عاصٍ لله، وأكثر الخلق منحرفٌ في كلامه وسكوته؛ فهُم بين هذين النوعين، وأهل الوسطِ - وهم أهل الصراط المستقيم - كَفُّوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعُه في الآخرة»؛ ا.هـ.[4]

ولله در القائل، فقد أجاد وأفاد:

احفظْ لسانَك أيها الإنسان ... لا يلدغنَّك إنَّه ثعبانُ

كم فى المقابرِ من قتيلِ لسانِه ... كانت تهابُ لقائَه الشجعانُ

ومن صور الخوض في الباطل كثرت في هذا الزمان: الخوضُ في أعراض المسلمين وتجريحُهم؛ خاصة العلماء منهم، والأخطر من ذلك أنهم يعدُّون ذلك دينًا يَدينون

---

1 - أخرجه أحمد في المسند برقم (22016) (36/ 344)، والترمذي في جامعه برقم (2616)(5/ 11)، وابن ماجه في سننه برقم (3973) (5/ 116)، والنسائي في الكبرى برقم (11330) (10/ 214)، والحاكم في المستدرك برقم (3548) (2/ 447)، وقال الشيخ عبدالقادر الأرنؤوط في تحقيق جامع الأصول: (وهو حديث صحيح بطرقه) برقم (7274) (9/ 534)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (413)(2/ 183).

2 - أخرجه البخاري في صحيحه برقم (10)، ومسلم في صحيحه برقم (40).

3 - إحياء علوم الدين:(3/ 120).

4 - الجواب الكافي لابن القيم (112).

به إلى الله، فيتَّهِمون العلماء في عقائدهم وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وخلجات قلوبهم، ومقاصدهم ونياتهم، فتراهم يرمون العُلماء أو طلبة العلم بالتُّهَم فيقولون: «هذا خارجي، معتزلي، مرجئ، طرقي، مقلد متعصب، متطرف، متزمت، رجعي، أصولي، مُداهن، مُراءٍ، من علماء السلطان، عَميل» وكل هذا يُقال من غير بيِّنةٍ ولا برهان، إنما بالهوى والظن والخوض في الباطل.

واحفظ الجوارحا: الجوارح جمع جارحة، وهي الكواسب التي يكسب بها الإنسان الخير، ويكتسب بها الشرور، فعليك أيها المخاطب برسوم الشريعة أن تُعمِل أعضاءك الباطنة والظاهرة في طاعة الله، وتجتنب منكر الأخلاق وسفسافها.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[الأنعام: 60].

يقول العلماء: جرحتم، أي عملتم وكسبتم بالجوارح.. والجرح: الكسب، يطلق على الخير والشر، والاجتراح: فعل الشر خاصة، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الجاثية:21].

وفي الحديث عن رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة».[1]

والضّمان لا يتحقّق إلاّ بالحفظ لهذه الجوارح، والتي من أبرزها الفرج واللّسان، لذلك جاءت في هذا الحديث.. يقول الإمام المناوي: «من يضمن»: من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه، «لي ما بين لحييه» هما العظمان بجانبي الفم، وأراد بما بينهما اللسان، وما يتأتى به النطق وغيره، فيشمل سائر الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يتأدى بالفم من الفعل، والنطق باللسان أصل كل مطلوب، «وما بين رجليه» أي الفرج، والمعنى: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بالواجب والصمت عما لا يعنيه، وأذى الحق الذي

1 - البخاري (6474) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام، «أضمن» بالجزم جواب الشرط «له الجنة» أي دخوله إياها.[1]

إذن فالشطر الأوّل من المعادلة هو حفظ الجوارح، والشطر الثاني الذي يترتب عليه هو ضمان الجنة.

وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال له: «يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ...»[2]. أي احفظ الله في أوامره ونواهيه، يحفظك الله في دينك ودنياك.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كُتِب على ابن آدم نصيبُه من الزنا مُدرِكٌ ذلك لا محالة، فالعينانِ زناهما النظر، والأذنانِ زناهما الاستماع، واللسانُ زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرِّجل زناها الخطى، والقلبُ يَهوَى ويتمنَّى، ويُصدِّق ذلك الفرجُ ويُكذِّبه» متفق عليه.

تعلق بهذا الحديث فوائد: فإنّه يجبُ على المؤمن أن يحفظَ أعضاءه مِن فعل الحرام؛ حتى لا يقع في الزنا الحقيقيِّ، وقد نبَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث إلى أنواع؛ منها:

فأولها: زنا العينين: وهو النظرُ إلى المحرَّمات كلِّها، وبخاصة ما يُؤدِّي إلى الوقوع في الزنا.

وثانيها: زنا الأذنين: وهو الاستماعُ إلى الحرامِ؛ كاستماع الأغاني المحرَّمة وغير ذلك.

وثالثها: زنا اللّسان: وهو الكلام المحرَّم؛ كالنّطق بالكلام الفاحش ومعاكسة النّساء ونحوه.

ورابعها: زنا اليدين: كإيذاءِ النّاس باليدين؛ كالبطش بهم وضربهم، وكلّ منكر

1 - فيض القدير للمناوي (6/243).
2 - رواه الترمذي (2516). وقال حديث صحيح.

يُرتكب باليدين، وبخاصة ما يوصل إلى الزنا الحقيقي؛ كمعاكسة النساء برسائل الجوال أو غيرها من وسائل التواصل الاجتماعي.

وخامسها: زنا القدمين: وهو استعمالها في معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كالمشي بهما في المعاكسات، أو للزنا الحقيقي، أو المشي بهما للإفسادِ في الأرض وانتهاك الحرمات.

وإنّ حفظ الجوارح عن المعاصي يعود على البدن بالرضا والسّرور في الدنيا والاخرة، ويعيش العبد في أنوار ربانية متتالية تعصمه من الزيغ، وتردّه عن الزّلل، قال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسَعةً في الرزق، وقوَّة في البدن، ومحبّةً في قلوب الخلق، وإنّ للسيّئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ونقصًا في الرزق، ووهنًا في البدن، وبُغضًا في قلوب الخلق»[1].

أحبَّ كلَّ مسلم: على المسلم أن يحبّ اخاه المسلم ويرجو له الخير في الدارين، فعن أبي حمزة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»[2].

فإنّ محبّة المسلم حيثما ماكان بلده، أو لسانه، أولونه مبدأ من مبادئ الإسلام؛ مبدأ الأُخوَّة التّي بدونها لا يتحقَّق أمْنٌ ولا استقرارٌ، مهما سعى السّاعون في عمارة هذه الأرض، وتوفير وسائل العيش فيها، أخوة تنفي الحسب والنسب والعرق، فلا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض ولا أسود، أخوة تجعل الفرد المنتمي للإسلام يفرح لفرح المسلمين، ويتألم لآلامهم، ويدافع عن حياضهم، ويحمي ظهرهم، ويقوِّي شوكتهم ما استطاع لذلك سبيلًا.

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى» قالوا: يا رسول اللهِ، تخبرنا من هم، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على

1 -ابن تيمية، منهاج السُّنة (1/ 269)
2 - البخاري (13) ومسلم (179).

غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنّ وجوههم لنور، وإنّهم على نور، لا يخافون إذا خاف النّاس، ولا يحزنون إذا حزن الناس». وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[يونس:62].[1]

وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المُتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أظلُّهم في ظلِّي، يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلِّي»[2].

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر منهم: «ورجلان تحابّا في اللهِ، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه» [3].

فما أعظم حبّ المسلم لأخيه المسلم في الله، وما أجل تلك الثمار التي يقتطفها من محبته، استظلال في ظلّ العرش، وحبّ من الرّحمن لهما، منازل عالية، وظلال وارفة، وأفراح متواصلة، وأنوار متلألأة، في أمن وسرور، فاللهم ارزقنا محبتك وحب رسولك وحبّ من يحبك آمين.

قال الشاعر:

ياأخي في الهنـد أو في المغربِ	أنا منك، أنت مني، أنت بي
لا تسل عن عنصري عن نسبي	إنه الإســلام أمي وأبي

إخوة نحن به مؤتلفــون

كن ناصحا: النّصيحة خلق تنثني عليه صدور المخلصين، و«النَّصِيحَة كلمة جامعة معناها حيازة الحظّ للمنصوح له» [4]، والنصيحة لاتصدر إلا من مشفق على الآخرين، صاحب قلب طيب ملئت جوانبه بالبرّ والخير، وهذا شأن الأنبياء والرسل، وكل مسلم داعية إلى الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكاية عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ:

1 - رواه أبو داود (3527).
2 - رواه مسلم (2566).
3 - أخرجه البخاري (660)، ومسلم (1031).
4 - فتح الباري لابن حجر (1/138).

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:61-62]. (أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النَّصِيحَة لكم والشفقة عليكم).[1]

وعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النَّصِيحَة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

قال الخطابي: «فمعنى النَّصِيحَة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنَّصِيحَة لكتاب الله، الإيمان به والعمل بما فيه، والنَّصِيحَة لرسوله، التصديق بنبوته، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنَّصِيحَة لأئمة المؤمنين، أن يطيعهم في الحقِّ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسّيف إذا جاروا، والنَّصِيحَة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم»[3].

وقال النووي: «هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام... وأما ما قاله جماعات من العلماء، أنه أحد أرباع الإسلام أي: أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده»[4].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بايعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلِّ مسلم».[5]

قال العيني: «وقال الخطابي: جعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّصِيحَة للمسلمين شرطًا في الذي يبايع عليه كالصلاة، والزكاة، فلذلك تراه قرنها بهما»[6].

قال الفضيل بن عياض: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما

1 - تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص 292).
2 - رواه مسلم (55).
3 - معالم السنن (4/126).
4 - شرح النووي على صحيح مسلم (2/37).
5 - رواه البخاري (57)، ومسلم (56).
6 - عمدة القاري (1/324).

أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة».[1]

13 - تَقَبَّلِ النُّصْحَ مِنَ الثِّقَاتِ وَكُنْ مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ

تقبَّل النُّصح من الثّقات: المسلم ضعيف بمفرده قوي بأخيه، يستشير أهل المروءات فيما أشكل عليه، ويأخذ بنصائح الثّقات من أهل العلم والخبرة إذا ادلهمت في وجهه الإشكالات، فإذا نصحه النّاصحون المخلصون قبل نصحهم، وتقوى بإرشادهم، فعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان بين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتّق الله يا أمير المؤمنين، فقال له رجل من القوم: أتقول لأمير المؤمنين اتق الله، فقال له عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: دعه فليقلها لي نعم ما قال. ثم قال عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم. اهـ[2].

لاتزال الأمة بخير ماقبلت نصح النّاصحين، ووعظ الواعظين المخلصين، وتوجيه الثّقات الحريصين على الخير.

وكن محافظا على الصّلاة: الصّلاة خير موضوع، وأفضل شيء ينبغي الاشتغال به، فلذلك يجب على المسلم أن يراعي أوقاتها، ويحفظ أورادها، فيؤديها بطهارة تامة، وخشوع وخضوع، لأنّها تشرق بها قلوب المصلّين، ولاينال شرفها إلاّ الخاشعون المخبتون، فمن حافظ على الصّلاة كان له عند الله عهد أن يدخله الجنّة، ومن لم يحافظ عليها ليس له عند الله عهد، ومن حافظ عليها وكانت له برهانا ونورا ونجاة يوم القيامة، فأيّ مصيبة أعظم من عدم المحافظة على الصّلاة!

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في صفات أهل الفردوس الأعلى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون:9 - 11].

---

1 - جامع العلوم والحكم لابن رجب (1/224).

2 - هذه القصة أخرجها أبو يوسف القاضي بسنده في كتابه «الخراج» ص 12، لكن في سندها المبارك بن فضالة قال الحافظ: صدوق يدلس ويسوي.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[المعارج: 34 - 35].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، مَنْ أَتَى بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ شَيْئًا مِنْهُنَّ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ» [1].

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدّرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرّباط»[2].

وإنّ أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوّل ما يحاسب عليه العبد الصّلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»[3].

قال الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمن الأخضري في مختصره في فقه العبادات المالكي «للصّلاة نور عظيم تشرق به قلوب المصلّين، ولا يناله إلاّ الخاشعون، فإذا أتيت إلى الصّلاة فَفَرِّغْ قلبك من الدنيا وما فيها واشتغل بمراقبة مولاك الذي تصلي لوجهه، واعتقد أن الصلاة خضوع وتواضع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقيام والركوع والسجود، فحافظ على صلاتك فإنها من أعظم العبادات، ولا تترك الشيطان يلعب بقلبك ويشغلك عن صلاتك حتى يطمس قلبك ويحرمك من لذة أنوار الصلاة، فعليك بدوام الخشوع فيها فإنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر بسبب الخشوع فيها،

1 - رواه أبوداود (1420)، والنسائي (1/ 230)، وفي «الكبرى» 322)، وهو صحيح بشواهده: وله عن عبادة طرق، والبيهقي (4627).
2 - رواه الترمذي (51) والنسائي (143).
3 - رواه الترمذي و حسنه(413)، والنسائي(465).

فاستعن بالله فإنه خير مستعان».[1]

أحبّ الصّلاة واشتاقها وتسمو بروحي آفاقها.

أيا وقفة تستشف الوجود وتجلو لنفسي طريق الخلود.

تعلّمني أن درب الحياة بغير هدى الله درب كؤود.

14 - وَوَقْتَكَ اشْغَلْهُ بِالِانْتِفَاعِ وَالْمَالَ فَاحْفَظْهُ عَنِ الضَّيَاعِ

ووقتك اشغله بالانتفاع: الوقت هو مقدار محدود من الزمن، والميقات هو الوقت المعين للقيام بأمر ما وقد يُذكر للمكان الذي يجعل وقت الشيء كميقات الحجّ.

إنّ الوقت هو الحياة، وإضاعة الوقت من أعظم المقت،فمن فاتته الدقائق والساعات من غير منفعة دنيوية أو أخروية فقد خسر خسرانا كبيرا، ولذلك أقسم الله بلوقت في كتابه لينبهك أيها الإنسان أن عمرك إن فات فلايرجع فاغتنم ساعاته بالطاعات وماينفعك وأمتك،قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[سورة العصر].

ففي هذه السّورة العظيمة منهجٌ كامل للمسلم، وموعظة بليغة للاهتداء بها، وفيها استثنى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ طائفة من النّاس من عاقبة الخسران، وهي الطائفة التي أقامت حياتها على أربعة أسسٍ جليلة، وهذه الأسس:

هي الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعمل الصّالحات، والتّواصي بالحقّ والتعاون على تحقيقه، والصبر في سبيل ذلك كلِّه على مواجهة الصِّعاب والشهوات والأذى؛ ولذا فتكريس المسلم لوقته أمرٌ حتميٌّ لفعل الطاعات، والتقرب بالحسنات؛ وذلك طلبًا للنجاة برحمة الله الملِك وتوفيقه

وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا

1 - انظر المسك الأذفري في شرح وأدلة الأخضري للمؤلف (238).

مُّنِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان: 62].

وقد حثَّنا النّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على اغتنام الأوقات وعدم إضاعَتها، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «اغتنم خمسًا قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلِك، وغِناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمِك، وصحَّتك قبل سقمك»[1]، وأخبرَنا بأنَّ القليل من النَّاس هم من يدركون قيمةَ الوقت ويستفيدون منه كلَّ الفائدة، وهؤلاء هم الموفَّقُون الأفذاذ، الفائزون الرَّابحُون، وأمَّا الأكثرون فهم المضيِّعون لأعمارهم وأوقاتهم، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «نِعمتان مغبُونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الصحَّةُ، والفراغُ»[2].

قال الحسن: «ما مرّ يوم على ابن آدم إلا قال له: ابن آدم: إني يوم جديد، وعلى ما تعمل فيَّ شهيد، وإذا ذهبت عنك لم أرجع إليك، فقدم ما شئت تجده بين يديك، وأخِّرْ ما شئت فلن يعود أبدًا إليك».

وقد قيل: إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهَلِها.

قال الشاعر:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وأنت في غفلة عما خلقت له ... وأنت في ثقة من وثبة الأجل

فزكّ نفسك مما قد يدنسها ... واختر لها ما ترى من خالص العمل

أأنت في سكرة أم أنت منتبهاً ... أم غرّك الأمن أم ألهيت بالأمل

1 - أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل (111)، والحاكم (7846)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وأشار ابن حجر إلى صحَّته في الفتح (11: 235)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (10248).
2 -أخرجه البخاري في الرقاق برقم (6049).

والمال فاحفظه عن الضّياع: عرف العلماء المال بتعريفات مختلفة منها ماقاله ابن العرَبي: هو ما تمتدُّ إليه الأَطْماع، ويَصلح عادةً وشرعًا للانتِفاع به[1].

فالمال عصب الحياة، وسيفٌ للحقّ إن استعمل في نصرته، وسبيل هلاك ومضيعة إن أنفق في الباطل، وإنّ الله استخلف العباد عليه، فلايجوز تضييعه، أو الإسراف فيه، ولا التبذير، ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[الإسراء:26]، وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[الأعراف:31]، فالواجب على المؤمن وكلّ مسلم أن يتقيّد بالشّرع في التّصرفات في ماله، وألا يصرف المال في وجه لا يبيحه الشّرع المطهّر، وأن يصونه بالكسب الحلال، والإنفاق في شتى وجوه الخير والبر، مسارعا لمرضاة ذي الجلال.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران: 14].

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا، اللَّهمّ إنّي أسألك أن أنفقه في حقّه»[2].

وعن خَوْلةَ الأنصاريَّة أنَّها سَمِعتْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ رجالاً يتخوَّضون في مالِ الله بغير حقٍّ، فلهم النارُ يومَ القيامة»[3].

قال ابن حجر في الفتْح: أي يَتَصرَّفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعمُّ من أنْ يكون بالقِسمة وبغيرها[4].

وعن خَوْلَة بنت قيس أنَّها سَمِعتْ رسول لله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إنَّ هذا المال خَضِرة حُلوة، مَن أصابَه بحقِّه، بُورِك له فيه، ورُبَّ متخوِّض فيما شاءَتْ به نفسُه من مالِ الله ورسوله، ليس له يومَ القيامة إلاّ النّار».

---

1 - أحكام القرآن، لابن العربي (3/ 153).
2 - البخاري كتاب الرقاق، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هذا المال خضرة حلوة».
3 - رواه البخاري (2950)، وأحمد في مُسنده (27055).
4 - فتح الباري شرْح صحيح البخاري،(6/ 219).

قال المباركفوري في تُحفة الأحوذي: ورُبَّ متخوِّض؛ أي: متسارِع ومتصرِّف، قال في الْمَجْمَع: أصْل الخوض: المشي في الماء وتحريكه، ثم استُعْمِل في التّلبيس بالأمر والتصرُّف فيه؛ أي: رُبَّ متصرِّف في مال الله بما لا يرضاه الله؛ أي: يتَصَرَّفون في بيت المال، ويستبدّون بمال المسلمين بغير قِسمة، وقيل: هو التّخليط في تحصيله مِن غير وجْه كيف أمكن. انتهى.

فيما شاءَتْ نفسُه؛ أي: فيما أحبَّته وَالْتَذَّتْ به.

ليس له - أي: جزاء يوم القيامة - إلاَّ النّار؛ أي: دخول جهنَّمَ، وهو حُكم مُرَتَّب على الوصْف المناسب، وهو الخوض في مال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيكون مُشعرًا بالعِلِّيَّة، وهذا حثٌّ على الاستغناء عن الناس، وذَمٌّ السؤال بلا ضرورة.

قال الإمام ابن القيم عن المال أعلم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه جعل المال قواماً للأنفس وأمر بحفظها، ونهى أن يأتي السفهاء من الرجال، والنساء، والأولاد وغيرهم، ومدحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله «نعم المال الصالح للمرء الصالح».

قال أحد الشعراء:

لا ترغبنّ في كثير المال تكنـزه ... من الحرام فلا ينمى وإن كثرا

واطلب حلالا وإن قلت فواضله ... إنّ الحلال زكيّ حيثما ذكرا

15 - بِهِمَّـــةٍ تَعَلَّـــمِ الْمُفِيـــدَا ... وَطَالِـعِ الْكُتُـبَ تَنَـلْ مَزِيـدًا

بهمّة تعلم المفيدا: الهمة: «توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره».

وأما علو الهمة فهو: «استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية»[1].

1 - تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص 28).

والكبير الهمة على الإطلاق هو من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبد رعاية بطنه، وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة.

وقال ابن القيّم في تعريف الهمة: «والهمّة فعلة من الهمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصّوها بنهاية الإرادة، فالهمُّ مبدؤها، والهمَّة نهايتها»[1].

الهمة العالية تتعب أصحابها، وتفتح أبوابها لكل طموح للمزيد في كل أبواب الخير، وأصحاب الهمم العالية هم سرج الاقتداء، ومعالم الاهتداء لكل من دنت همته، وقصرت عن مراتب العلى وثْبَتُه، فيا أيها المسلم الواعي كن ذاهمة عالية تستشرف المعالي، وتستنزل الفوائد والدرر، من الجبل العالي، ولاتكن دَنيًا فتردى، ولاجموحا عن مواطن الفائدة فتشقى، ولقد ضربت المُثُل في الكتاب والسنة عن أصحاب الهمم العالية، «وعلو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، وكالطموح إلى المعالي»[2] والإسلام يحثُّ على هذا الخلق النبيل، وقد وردت آيات من القرآن الكريم، تدل على ذلك، ومنها:

- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: 133].

ففي هذه الآية «ندب الله عباده إلى المبادرة إلى فعْل الخيرات، والمسارعة إلى نَيْل القُرُبات» وهو أمر من الله بالهمة العالية.

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: 35].

فهذه الآية فيها ثناء «على أصحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم خاتمهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

1 - مدارج السالكين (3/5).
2 - الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها لمحمد الحمد (ص 81).

وقد تجلت همتهم العالية في مثابرتهم، وجهادهم، ودعوتهم إلى الله عزَّ وجلَّ، كما أوضحه الله عزَّ وجلَّ في قصص الأنبياء: كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» [1].

وعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله» [2].

قال ابن بطال: «فيه ندب إلى التّعفف عن المسألة، وحض على معالي الأمور، وترك دنيئها، والله يحب معالي الأمور» [3].

وقال ابن الجوزي: «من علامة كمال العقل علوُّ الهمة، والراضي بالدون دني». [4]

وقال ابن القيم: «لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمة العالية إلا في نفس نفيسة» [5].

قال الشاعر:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا تعِبتْ في مُرادِها الأجسامُ

وقال ابن هانئ الأندلسي:

ولم أجِد الإنسانَ إلا ابن سعيِه فمن كان أسعَى كان بالمجدِ أجدرا
وبالهمةِ العلياءِ يرقَى إلى العُلا فمن كان أرقَى هِمَّةً كان أظهرا
ولم يتأخرْ مَن يريدُ تقدمًا ولم يتقدَّمْ مَن يريدُ تأخرا

1 - علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم (ص 128).
2 - رواه البخاري (1427) ومسلم (1034) واللفظ للبخاري.
3 - شرح صحيح البخاري لابن بطال (3/431).
4 - صيد الخاطر (28).
5 - بدائع الفوائد لابن القيم (ص 750).

وطالع الكتْب تَنَلْ مَزِيدَا: تعتبر المطالعة إحدى أهم مصادر التعلم، لأن هذه الأمة المرحومة كان أول ما أنزل على نبيها كلمة (اقرأ)، فلذلك كان الأجدر بها أن لاتملّ من القراءة والكتابة والحفظ، فمابال أمة اقرأ صارت لاتقرأ ؟، ولذلك يجب على طالب العلم أن تكون له همة عالية في صيد الفوائد، وتتبع خبايا الزوايا، ولقط موارد العوائد، فمعظم العلم من المطالعة، ومن استهان بها هان، ولم يقطع طريق العلم من غير هوان، ومن شدّ أزره بها لاحت له سبل العلم ومسالكه، يقول العلامة البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحق أقول: إن شبابَنا المتعلِّم كسُولٌ عن المطالَعة، والمطالَعةُ نصف العلم أو ثُلثاه، فأوصيكم يا شباب الخيرِ بإدمان المطالَعة، والإكباب عليها، ولتكنْ مطالَعتُكم بانتظامٍ؛ حرصًا على الوقت أنْ يَضيعَ في غير طائلٍ».[1]

يقول الشيخ علي الطنطاوي: لقد جرَّبت اللذائذ كلَّها، فما وجدت أمتع من الخلوة بكتاب، وإذا كان للناس ميول، وكانت لهم رغبات، فإن الميل إلى المطالعة والرغبة فيها هي أفضلها.

وهذا الكلام؛ للطالب، وللمدرس، وللطبيب، وللمرأة في بيتها، وللمسافر، وللمقيم.

الطالب إذا اقتصر على دروس المدرسة ولم يطالع لا يصير عالماً، وما دروس المدرسة؟ إن مثال ما يقرؤه الطالب في الثانوية مثال من يُريد أن يعمل وليمة، فهو يدخل المطعم ليختار طعام الوليمة، فيذوق لقمة من هذا، ولقمة من ذاك، فإذا أعجبه لون اشترى منه، والطالب يذوق في الثانوية لقمة من لون التاريخ، ولقمة من الحساب، ولقمة من النحو، ولقمة من الكيمياء... ليرى ما ترغب فيه نفسه ويميل إليه طبعه فيقبل عليه،فإذا اكتفى بما درسه في المدرسة لم يُحصِّل شيئاً؛ لأن اللقمة لا تُشبع الجائع! اهـ.

قلت: والمطالعة التي تنفع هي التي ترسم خطواتها بدقة ليكون جناها شهدا

1 - الآثار للشيخ البشير الإبراهيمي (1/154).

لذيذا، وعسلا شهيا، وأما إذا كانت المطالعة مشتتة، وصاحبها يقفز بين الكتب لايدري ماهدفه، ولارؤية له فإنه لايجني من تلك المطالعة إلاّ السراب.

المطالعة هي بساطك الذي تطير به في آفاق الزمان والمكان، ماضيا وحاضرا، هي تسطير لآمال المستقبل، وربط لك بين الماضي والحاضر، هي معرفتك للفنون، والعلوم، والرجال، للتاريخ والجغرافيا، للسياسة لكل ماتريد أن تصل إليه.

قال الشيخ بكر أبوزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حلية طالب العلم: «ابذل الجهد في حفظ العلم (حفظ كتاب)، لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لا سيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السّن وضعف القِوى يكون لديك مادة تستجرّ منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتّقصّي.»[1]

قال شيخنا العلامة محمد الحسن الددو الشنقيطي: يحتاج الطالب إلى منهجية في المطالعة، ومنهجية المطالعة هي ألا يشوش الإنسان فكره إذا أراد قراءة كتاب ما، وإذا بدأ المطالعة في كتاب لابد أن يكمله، ولابد أيضاً أن تكون هذه المطالعة مطالعة علمية، فالمطالعة غير العلمية هي أن تقرأ في كتاب وليس لديك قلم ولا ورقة، ولا تحفظه، بل تقرأه فقط، فلا تحرز منه فائدة، والمطالعة العلمية هي أن تجعل لك دفتراً لكل كتاب تطالعه، وتضع فيه اسم الكتاب، وتبدأ الصفحة الأولى بتاريخ، وتكتب: بدأت القراءة الساعة كذا لليوم الفلاني من الشهر الفلاني من العام الفلاني في الكتاب الفلاني من الصّفحة كذا، حتى تكمل ما تطالعه منه، وتقسم الدفتر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: للزوائد النادرة، والأشياء العجيبة التي استفدتها من الكتاب، ولا تكتب الأشياء المكررة والموجودة في الكتب كلها؛ لأنها موجودة في الكتب، ولا فائدة من نسخك لكتاب مطبوع، لكن تكتب الفوائد النادرة، والأشياء الغريبة جداً.

القسم الثاني: لما فهمته أنت من الكتاب مما ليس فيه، وهو ما يسمى: قراءة ما

1 - حلية طالب العلم (26).

بين السطور، فتستفيد معلومات بفهمك وربطك للمعلومات بمعلومات سابقة لديك، فتكون بذلك استفدت من هذا الكتاب فهماً ومقارنة، فتكتب المعلومات التي استفدتها حتى لا تضيع منك، وستبقى مادة لديك في المستقبل لكتبك ودروسك التي أنت فهمتها من الكتب، ولو لم تكن مخصوصة ولا موجودة فيها.

القسم الثالث: للإشكالات: كل كتاب قرأته لابد أن يعرض لك فيه كثير من الإشكالات، بعضها ناشئ عن أخطاء مطبعية، وبعضها ناشئ عن أخطاء من المؤلف نفسه، وبعضها ناشئ عن عدم فهم منك أنت، وبعضها ناشئ عن اختلاف في الدلالة، فدلالة اللفظ الواحد قد يكون مشتركاً، وقد يكون مجازاً، وقد يكون مستعملاً في وقت المؤلف استعمالاً شائعاً، وفي وقتك غير ذلك.

فتحتاج إلى تقييد هذه الإشكالات للرجوع إليها في مراجع أوسع، أو لسؤال من تلقاه من أهل العلم عنها، فالاستشكال علم كما قال أهل العلم، فإذا استشكلت شيئاً فقد ازددت علماً؛ لأنك ستبحث عنه، وسيقتضي ذلك منك اطلاعاً على ما لم تكن لتصل إليه لولا ذلك الإشكال، وكم من شوارد علمية نالها الإنسان ولم يكن يبحث عنها، وإنما بحث عن مسألة أخرى دونها، ففتح الكتاب وقرأ فاستفاد علماً آخر أكثر مما كان يبحث عنه!. اهـ بتصرف.

قال الشاعر:

وخير جليس في الزمان كتاب تسلو به إن خانك الأصحاب

وقال آخر:

أعزّ مكان في الدّنيا سرجٌ سابح وخيرُ جليسٍ في الأنام كتابُ

16 - **وَاحْـتَرِمِ الْكِتَـابَ وَالْمُعَلِّمَـا وَأَكْرِمَـنَّ مَـا اسْـتَطَعْتَ الْعُلَمَـا**

واحترم الكتاب: لايقلّ احترام الكتاب عن حرمة المعلم، لأنّ الكتب هي

آلة العلم وجرابه، وإحدى أهم روافده، وللكتاب منزلة رفيعة، ويكفيه شرفا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حفظ كلامه في كتاب، فهو أقدس كتاب وأطهره هو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يجب على كل مسلم أن يعظّمه، وكذلك كل كتاب يخدم القرءان من كتب التفسير أو السنة أو غيرهما مما يتفرع فنونه من الوحيين، ويكمن احترام الكتاب في التالي:

أولا: أعظم كتاب يجب تعظيمه واحترامه هو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بوضعه في المكان اللائق به، فلايجوز رميه أوطرحه كما تطرح سائر الكتب بل يجب وضعه في أماكن لاتطؤها الأقدام، ولقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النموذج المثالي في احترام الكتاب فقد روى أبوداود في سننه: عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتى نفر من يهود، فدعوا رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القف[1]، فأتاهم في بيت المدارس[2]، فقالوا: يا أبا القاسم ! إنّ رجلا منّا زنى بامرأة، فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسادة، فجلس عليها، ثم قال ائتوني بالتوراة، فأتي بها، فنزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها [3]، ثم قال: آمنت بك وبمن أنزلك، ثم قال: ائتوني بأعلمكم. فأتي بفتى شاب، ثم ذكر قصة الرجم»[4].

فانظر إلى فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع علمه أنها محرفة، فكيف بكتاب الله الذي سمعنا قصصا عجيبة ممن يدعي انه على منهج السلف وياخذ المصحف فيرميه على الأرض ثم يطالب بالدليل على المنع فياله من استخفاف بحرمة القرءان وجهل يصد عن التعظيم.

ثانيا: يجب علينا أن نحافظ على الكتاب أي كتاب، مالم يكن يدعو إلى الكفر والفجور، ونحميه من التلف والتخريب، فلا نكتب عليه، ولا نقوم بتمزيقه..

---

1 - القف: بضم القاف وتشديد الفاء اسم واد بالمدينة.

2 - قال في النهاية: هو البيت الذي يدرسون فيه ومفعال غريب في المكان انتهى.

3 - قال في عون المعبود (12/89):(أي على الوسادة والظاهر أنه وضع التوراة على الوسادة تكريما لها ويؤيده قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنت بك وبمن أنزلك).

4 - أخرجه أبو داود (4449) وسكت عنه[وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح].

ثالثا: المحافظة على كلّ دفتر أو أيّ كتاب يحتوي على اسم الله أوآياته القرآنية، أوالأحاديث الشريفة، فيكون حينئذ الحفاظ أمرا واجبا.

رابعا: من احترام الكتاب احترام مالكه إذا أعاره لك ولتسارع برده إليه فقد ذم السلف غلول الكتب قال الزهري: إياك وغلول الكتب، وهو حبسها عن أصحابها.

وقال الخطيب البغدادي: وبسبب حبسها امتنع غير واحد من إعارتها.[1]

ولقد عقد المرّبون فصولا وأبوابا في كتب الأدب في معاملة الكتاب خاصة، بل وصنفوا في ذلك مصنفات نافعة

واحترِم المعلّما: «العلماء ورثة الأنبياء»[2]، وحفاظ العلم، ودعاة الحق، وأنصار الدين، يهدون الناس إلى معرفة الله وطاعته، يوجهونهم وجهة الخير والصلاح، ويأخذون بأيديهم على دروب العزِّ و الفلاح، فلذلك يجب على طالب العلم، بل وسائر الناس، احترام العلماء وإجلالهم، لأنه من إجلال الله إكرام أهل العلم ومعرفة حقوقهم، وإذا كان الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد وصاك على طاعة وتقدير وتوقير أبوتك الطينية فمن باب أسمى تقدير أبوتك الروحية، فالأول له عليك حق الإيجاد، والثاني حقّ العلم والأدب والإسعاد.

سئل الإسكندر: لِمَ تُكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال: إن أبي سبب حياتي الفانية، ومعلمي سبب حياتي الباقية.

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة: 11].

وقال عزّ وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر: 9].

وإذا أرادت أمة أن تترقى في مدارج العز والتمكين، فأول ما ينبغي عليها أن تعلي

1 - تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (148).
2 - الترمذي (2682) قال: ليس هو عندي بمتصل، وقال العجلوني في كشف الخفاء(2/22): ضعيف.

من شأن العلم والعلماء ومعلمي الناس الخير؛ فلا ينبغي أن يقدم على العلماء والمعلمين أحد، كما ينبغي بذل ما يجب لهم من الاحترام والتوقير والتأدب، قال شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قم للمعلّم وفّه التّبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجلَّ من الذي يَبْنِي ويُنشئ أنفسا وعقولا

وفي عصور نهضة الأمة ورفعتها كان للمعلم وللعلماء الحظ الأوفر من الرعاية والتكريم، والتوقير والتبجيل، فقد حضر زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جنازة فلما أراد أن ينصرف أخذ عبد الله بن عباس بركاب زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وهو الحديدة التي يضع فيها قدمه ليركب الدابة- فقال له زيد: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله؟ فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنا هكذا نصنع بعلمائنا[1].

وكان الإمام ابو حنيفة لا يمد رجليه ناحية بيت معلّمه حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ احتراما له، وبين بيت أبي حنيفة وبيت معلمه المسافة الطويلة.

وكان الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جلس في مجلس الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقلّب الأوراق برفق شديد حتى لا ينزعج معلمه الإمام مالك.

أما الربيع بن سليمان فيقول عن نفسه: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له.[2]

وذكر ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ صورةً من صور توقير المتعلمين للعلماء من السّلف الصّالح، فقال: «وقد قال الحاكم أيضًا في تاريخه: ثنا أبو نصر أحمد بن محمد، سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصار يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبّل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبّل رجليك يا أستاذ الأُستاذين، وسيّد المحدِّثين، وطبيب الحديث في علله»[3].

1 - الآداب الشرعية. للمقدسي، محمد بن مفلح. (1/296).
2 - المرجع السابق ج1. ص297.
3 - المرجع السابق ج4. ص265.

وهذا هارون الرشيد الذي حكم نصف العالم والذي كان يخاطب السحابة العابرة فيقول: «أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك» يطلب من الإمام العالم الأصمعي أن يؤدّب له ولديه وأن يعلمهما، وفي ذات يوم مرّ هارون الرشيد فرأى الأصمعي يغسل قدمه والذي يصبّ له الماء هو ابن هارون، فطلب هارون الرشيد الأصمعي وقال له: إنما دفعت به إليك لتعلمّه وتؤدّبه، أفلا طلبت منه أن يصبّ الماء بإحدى يديه وأن يغسل قدمك باليد الأخرى؟.

وهذا الخليفة المأمون كان قد طلب من الفرّاء أن يعلّم ولديه النحو، وفي يوم من الأيام أراد الفراء أن يقوم من مجلسه فتسابق الولدان إلى نعل الفرّاء أيّهما يقدمه له فاختلفا فيمن يفعل ذلك، وأخيراً اتفقا على أن يقدّم كلّ منهما واحدة..ورفع الخبر إلى المأمون، فاستدعى الفراء.

وقال له:من أعزّ الناس ؟.

قال: لا أعلم أعزّ من أمير المؤمنين.

قال: بلى، إنّ أعز الناس من إذا نهض من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل منهما أن يقدم له فردا، فظن الفراء أن ذلك أغضب الخليفة فاعتذر بأنه حاول منعهما فأبيا، فقال المأمون: لو منعتهما لعاتبتك...إلى أن قال: وما وضع ما فعلاه من شرفهما بل رفع من قدرهما...

وصدق والله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ قال: ذللت طالبا فعززت مطلوبا. فإن التواضع للمعلم واحترامه يجعله يعطيك كل ما عنده فيحتاج الناس إليك ولو بعد حين.

فأين هذا من أناس لم يعرفوا في محطات حياتهم إلا تجريح لحوم العلماء المسمومة والتحذير منهم وتنفير الناس من مجالسهم ومُجالسهم، فأعقبهم الله بموت القلوب، وهتك استار أعراضهم، بل سمعنا أن منهم من ارتدّ على عقبيه وصار فاجرا عربيدا،

فاحذر أيّها المسلم من تنقيص أولياء الله من العلماء المخلصين الصادقين الذين شهدت لهم الأمة بذلك، وظهر أثرهم في الآفاق.

وأكرمن ما استطعت العلما: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس من أمتي من لم يجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقَّه» [1].

فإكرام العالم من محبّيه وطلبته وعامة الناس دليل على تربيتهم وحسن أخلاقهم، وطيب معدنهم ولايعرف لأهل الفضل فضلهم إلاّ ذووه، وقد كان شيخنا العلامة محمد بن محفوظ الشنقيطي يقول: إن من أعظم إكرام العالم سؤاله في مسائل العلم، واحترامه، وتقديمه، وإيثاره من مكارم الأخلاق، وعلو الأذواق.

ومن إكرام العالم ماوصَّى به سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حقّ العالم عليك:

أن تسلّم على القوم عامّة، وتخصّه بالتّحيّة.

أن لا تكثر عليه السّؤال.

وأن لا تجلس أمامه.

ولا تُشيرنَّ إليه بيدك.

ولا تلحَّ عليه إذا أعرض أو كسل.

ولا تغمزه بعينك.

ولا تغمز غيره بمحضره.

ولا تقولنّ قال فلان خلاف قوله.

---

1 - أخرجه أبو داود (4943) والترمذي (1920)، وأحمد (6733) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأن تحفظه شاهداً، وغائباً.

ولا تغتابنّ عنده أحداً.

وعليك أن توقره وتعظّمه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما دام يحفظ أمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

ولا تُسارَّ في مجلسه.

ولا تأخذ بثوبه إذا نهض.

ولا تفشِ له سراً.

ولا تطلبنّ عثرته.

وإن زلّ قبلت معذرته.

ولا تُعنِّتْه بالجواب.

ولا تملّ من طول صحبته، وإنّما هو كالنّخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[1].

ويمكن أن نشير إلى بعض الآداب التي أكد عليها علماء السّلف، منها: أن يكون متملّقاً متذللاً لمعلّمه:

إنّ التّملق والتّذلّل من الآداب المهمّة التي ينبغي أن يتأدب بها المتعلّم إزاء شيخه أو معلّمه أثناء تعلمه، لما لذلك من فوائد علمية واجتماعية وأخلاقية.

وقد أباح النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الملق في طلب العلم، بقوله: وليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم.

قال الشاعر:

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهُدى لمن استهدى أدلاءُ

وقيمةُ المرءِ ما قد كان يحسِنُهُ ... والجاهِلونَ لأهل العلمِ أعداءُ

فقمْ بعلمٍ ولا تطلبْ به بدلا ... فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

1 - إحياء علوم الدين للغزالي (1/97)، وتذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (126).

17 - أَقْبِــلْ وَأَنْصِــتَنَّ لِلْمُحَــدِّثِ وَقَــدِّمِ الْأَكْــبَرَ فِي التَّحَــدُّثِ

أقبل وأنصتنَّ للمحدّث: إن من الآداب السامية، والأخلاق العالية،إنصات السامع لمحدثه، وإصغاؤه إليه، وإقباله عليه بكليته، فالإنصات الفعال غير الاستماع، ويعني: «الاستماع باهتمام وبالجوارح كلها» من خلال ملامح الوجه، ولغة الجسد، والرسائل الإيجابية التي يبعثها المنصت المنتبه للمتكلم، وتلك لعمر الله سنة حميدة كان الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأخذون بها إلى من حدّثهم لاسيما معلّمهم الأول صلوات ربي وسلامه عليه، فقد جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صعد المنبر، أقبلنا بوجوهنا إليه»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا» أخرجه الترمذي، وقال: وفي الباب عن ابن عمر، ومحمد بن الفضل ذاهب الحديث، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم، يستحبّون استقبال الإمام إذا خطب، وهو قول سفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق.

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: «السّنّة إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة، يقبل عليه القوم بوجوههم جميعاً».

وعن نافع: «أنّ ابن عمر كان يفرغ من سبحته يوم الجمعة قبل خروج الإمام، فإذا خرج لم يقعد الإمام حتّى يستقبله».[2]

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر وجلسنا حوله.»[3].

وقد أورد البخاري الحديث في «باب يستقبل الإمام القوم، واستقبال الناس

1- أخرجه الترمذي (509)، وابن حبان في (المجروحين) (2/213) واللفظ لهما، وأبو يعلى (5410).
2 - وقد جمع الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأحاديث في السلسلة الصحيحة رقم 2080 وعلّق عليها.
3 - أخرجه البخاري(921).

الإمام إذا خطب، واستقبل ابن عمر وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الإمام».

قال الحافظ في الفتح:«وقد استنبط المصنف من الحديث مقصود الترجمة، ووجه الدلالة منه أن جلوسهم حوله لسماع كلامه يقتضي نظرهم إليه غالباً، ولا يعكر على ذلك ما تقدم من القيام في الخطبة، لأن هذا محمول على أنه كان يتحدث وهو جالس على مكان عال وهم جلوس أسفل منه، وإذا كان في غير حال الخطبة كان حال الخطبة أولى؛ لورود الأمر بالاستماع لها، والإنصات عندها».

قال: «ومن حكمة استقبالهم للإمام التهيؤ لسماع كلامه، وسلوك الأدب معه في استماع كلامه، فإذا استقبله بوجهه وأقبل عليه بجسده وبقلبه وحضور ذهنه ؛ كان أدعى لتفهم موعظته، وموافقته فيما شُرع له القيام لأجله». والله أعلم.

وإن من مراتب العلم المعلومة حسن الاستماع للمحدث كما كان أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعلونه زمن صفاء الرواية، إلا إذا كان المحدث من اهل الباطل أو يشك أنه يفتري الكذب فلاكرامة له، فقد جاءَ بُشيرٌ العَدَوِيُّ إلى ابْنِ عبَّاس، فَجَعَلَ يُحَدِّثُ، ويقولُ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ ابنُ عبَّاسٍ لا يَأْذَنُ لِحَديثِهِ، ولا يَنْظُرُ إلَيْهِ، فقالَ: يا ابْنَ عبَّاسٍ، مالي لا أراكَ تَسْمَعُ لِحَديثي، أُحَدِّثُكَ عن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تَسْمَعُ، فَقالَ ابْنُ عبَّاسٍ: إنَّا كُنَّا مَرَّةً إذا سَمِعْنا رَجُلًا يقولُ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابْتَدَرَتْهُ أبْصارُنا، وأَصْغَيْنا إلَيْهِ بآذانِنا، فَلَمَّا رَكِبَ النَّاسُ الصَّعْبَ، والذَّلُولَ، لَمْ نَأْخُذْ مِنَ النَّاسِ إلَّا ما نَعْرِفُ[1].

وهناك بعض التصرفات غير اللائقة التي يجب تجنبها أثناء تحدث أحدهم إلينا منها:

- العبوس.
- المشي أو إدارة الظهر له.
- السكوت التام والتجرد من أي تعابير.

1 -صحيح مسلم (7) مقدمة الصحيح.

- قضم الأظفار، أو قصها، أو تنظيفها، العبث بالشعر، واستعمال السواك.
- تصفح الهاتف، أو اللهو بأشياء أخرى.
- النظر إلى الساعة بشكل متكرر، أو الظهور بمظهر الملول الذي نفد صبره.
- قراءة أشياء خارجة عن مجال المحدث.
- التثاؤب المتكرر أو النوم في مكان المحدث.
- النظر في كل مكان خارج إطار الحدث (السماء، السقف، النافذة، الأغراض من حولنا).
- الضحك لأنك تذكرت أمراً آخر.

وقد قال الحسن بن علي لابنه يابني:إذا جالست العلماء،فكن على أن تسمع، أحرص منك على أن تقول،وتعلّم حسن الاستماع كما تتعلّم حسن الصمت،ولاتقطع على أحد حديثا،وإن طال حتى يمسك. [1]

قال أبو تمام:

من لي بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا صبوت إلى المدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يُصْغِي للحديث بطرفه ... وبقلبه ولعله أدرى به

وقدّم الأكبر في التحدث: إلاّ أن يكون أصغر القوم أعلم من غيره، ولابدّ من تقديم الأكابر على الأصاغر في الحديث لخبرتهم، وحكمتهم، والسبق للحياة، وطول إسلامهم، وقد تضافرت الأحاديثُ الواردة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن من الآداب العالية تقديم الكبار في الحديث فعن سهل بن أبي حثمة، قال: انطلق عبدُالله بن سهل، ومحيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر، وهي يومئذ صلح، فتفرقا، فأتى

1 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/130).

محيصة إلى عبدالله بن سهل وهو يتشخط في دمه قتيلًا، فدفنه، ثم قدم المدينة، فانطلق عبدالرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهب عبدالرحمن يتكلم، فقال: «كبِّرْ، كبِّرْ»، وهو أحدث القوم، فسكت، فتكلَّما[1].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أُقَدِّمَ الأَكَابِرَ»[2].

والخير في الأكابر، والبركة مع كبار السّن، وأن المؤمن لا يزاد في عمره إلا كان خيرًا له، إضافة إلى أن المسن المؤمن له مكانة خاصة، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ألا أنبئكم بخياركم؟!»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «خيارُكم أطولُكم أعمارًا إذا سددوا»[3].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الخير مع أكابرِكم»، وفي رواية: «البركة مع أكابركم»[4].

18 - بِالْخَيْرِ فَانْطِقَنْ وَإِلاَّ فَاصْمُتِ وَقَبْلَ نَقْلِ خَبَرٍ تَثَبَّتِ

بالخير فانطقَن وإلاّ فاصمتِ: هذا الخلق ملخص حديث سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر»[5].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا من جوامع الكلم؛ لأنّ القول كله إمّا خير

---

1 - البخاري، باب الموادعة والمصالحة، حديث: 3173.

2- أخرجه أبو بكر الشافعيُّ في «الفوائد» (9/ 97/ 1)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه أحمد في «مسنده» (6226)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (172)، بلفظ: «أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أُكَبِّرَ». والحديث صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (4/ 74)

3 - المستدرك للحاكم، كتاب الجنائز، حديث: (1255)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

4 - مجمع الزوائد، باب إكرام الكريم، حديث:(12618)، يقول الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط، إلا أنه قال: (البركةُ مع أكابركم)، وفي إسناد البزار: نُعيم بن حماد، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

5 - الموطأ (1660) والبخاري(6018) ومسلم (182).

وإما شر آيل إلى أحدهما، فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يؤول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر، فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت»[1].

قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث من القواعد العميمة العظيمة؛ لأنه بين فيه أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلًا، فهو بهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: إنه ثلث الإسلام» [2].

وقيل: هو من الآداب الإسلامية الواجبة[3].

أي انطق أيها المسلم بالخير إن نطقت، وإلا فاصمت فهو أسلم لك، فالحكمة اللقمانية إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا، فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليُمسِكْ عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه، مندوبًا إلى الإمساك عنه؛ مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا، وقد قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: 18][4].

وأنشَد ابن المبارك أخًا له كان يصحبه فقال:

واغتَنِمْ ركعتين زُلفى إلى اللهِ ... إذا كنــتَ فارغًا مُستريحَا
وإذا ما هَمَمتَ بالمنطقِ البا طلِ ... فاجعَل مكانَــه تَسبيحا
إنَّ بعض السكوتِ خيرٌ من النط ... ق وإن كنتَ بالكلام فصيحا[5]

1 - فتح الباري (10/ 461 ح 6019).
2 - فتح المبين (137) فيض القدير (6/ 273، ح 8979).
3 - تعليقات على الأربعين النووية لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (27).
4 - شرح مسلم للنووي (2/ 17 ح 47).
5 - من ديوان عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقبل خبر تثبّت: التثبت والثبات من أنفع المهمات لاسيما في الملمات المدلهمات، فلاينفع المستعجل العجلة، ولا استشارة المثبطين الكسلة، وإنّما لابدّ للمرء من التّبيّن والتّثبت عند سماع الأخبار، لاسيما في هذه الأعصار التي كثرت فيها وسائل التخاطب، وتنطلق فيها الشائعات والأخبار الكاذبة انطلاق الصوراريخ المعاصرة لسرعة الأخبار.

فما هو التبين: علم يُحَصَّلُ بعد التباس وغموض، يقال: تَبيّنَ في الأمر والرّأي: أي تثبّت وتأنّى فيه، ولم يَعجَل.

والتّثبت: هو التّحريّ والتّأكد من صحة الخبر قبل قبوله أو نشره.

فالمراد بالتبيّن والتثبّت: التأني والتريّث والبحث عن صحة الخبر، وعدم العجلة في نقله أو بناء الحكم عليه قبل تيقن صحته.

ولقد أشار القرءان الكريم إلى عدم المسارعة في نقل الأخبار، وبثها دون تثبت، فإن من ثبت نبت، ولاتكن سباقا لنشر مالايثبت ولايفيد، فقد نهى الله أهل الإيمان عن التسرع في نقل الأخبار الزائفة والتحقق من صحة مايمكن أن يكون صحيحا، قال ابن كثير في تفسير قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات: 6] «يأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتثبّت في خبر الفاسق ليحتاط له، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قَبُول رواية مجهول الحال، لاحتمال فِسْقِه في نفس الأمر، وقَبِلَها آخرون، وقد ذكر كثيرٌ من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وله قصة في إيقاع الفتنة بين بني المصطلق والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

حيث بعثه رسول االله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على صدقات بني المصطلق، وقد رُوي من طرق؛ منها ما رواه أحمد عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قال: قدمتُ على رسول االله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ فيه وأقررتُ به، ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها، وقلتُ: يا رسول االله، أَرجِعُ إليهم فأَدعُوهم إلى الإسلام وأداءِ الزكاة، فمَن استجاب لي جمعتُ زكاته،

وترسل إليَّ يا رسول االله رسولًا إبّان كذا وكذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة، فلما جمَع الحارثُ الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسولُ االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبعث إليه احتُبِسَ عليه الرسولُ ولم يأتِهِ، وظنّ الحارث أنه قد حدَث فيه سُخْطَةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله، فدعا بسَرَوات قومه [أي: أشرافهم]، فقال لهم:

إن رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان وقَّتَ لي وقتًا يرسل إليَّ رسولَه، ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُلْفُ، ولا أرى حَبْسَ رسوله إلا من سُخْطَةٍ كانت، فانطلِقوا بنا فنأتي رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وبَعث رسولُ االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوليدَ بنَ عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمَع من الزكاة، فلما أنْ سارَ الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِقَ [أي: خاف] فرجع حتى أتى رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

يا رسول االله، إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي، فغضب رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبَعَثَ البَعْثَ إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه، حتى إذا استقبلَ البعثُ وفَصَلَ عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى مَن بُعِثْتُم؟ فقالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعَث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنّك منعتَه الزكاة وأردتَ أن تقتله، قال: لا والذي بعث محمّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحقّ ما رأيتُه بَتَّةً ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «منعتَ الزكاة وأردتَ قتل رسولي؟»، قال: والذي بعثك بالحقّ ما رأيتُه ولا أتاني، وما أقبلتُ إلاّ حين احتُبِسَ عليَّ رسولُ رسولِ االله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خشيتُ أن يكون كانت سُخْطَةٌ من االله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورسوله؛ قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات: 6-8].[1]

1 - أخرجه أحمد (18459)، وابن أبي عاصم في (الآحاد والمثاني) (2353)، والطبراني (3/274) (3395) باختلاف يسير. وإسناده صحيح.

قال العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الغلط الفاحش الخَطِر؛ قبول قول الناس بعضِهم في بعض، ثم يبني عليه السامع حُبًّا وبغضًا، ومدحًا وذمًا، فكم حصل بهذا الغلط أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن النّاس أمورًا لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنمِّيَت بالكذب والزور، وخصوصًا مَن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز وعدم التسرّع، وبهذا يُعرف دين العبد ورزانته وعقله» اهـ.

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» [1].

قال المناوي: «التَّأَنِّي مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أي: ممَّا يرضاه ويثيب عليه، والعَجَلَة مِن الشَّيطان أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأنَّ العَجَلَة تمنع مِن التَّثبُّت، والنَّظر في العواقب» [2].

قال ابن عبدالبر: «ومن تأنى وتثبت تهيأ له من الصواب مالايتهيأ لصاحب البديهة».

وقال القطامي عمرو بن شييم:

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّللُ

وربَّما فات قومًا بعضُ أمرِهمُ ... مِن التَّأنِّي وكان الحزمُ لو عجلوا

19 - وَقَدِّمَنْ صَلَاةَ الِاسْتِخَارَهْ ... إِذَا هَمَمْتَ ثُمَّ الِاسْتِشَارَهْ

وقدّمن صلاة الاستخارة إذا هممت:

---

1 - رواه أبو يعلى (7/247) (4256)، والبيهقي (10/104) (20767)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (2/359)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (8/22): رجاله رجال الصحيح، وجوَّد إسناده ابن القيم في «أعلام الموقعين» (2/120)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (3011).

2 - فيض القدير شرح الجامع الصَّغير (3/184).

الاستخارة: هي طلب العبد من الله أن يختار له أحد أمرين وقع له التردّد بينهما، وهي سنة نبوية مباركة كان يعلمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه كما يعلمهم السورة من القرءان، فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ».[1]

فمن أراد القدوم على أي أمر ذي بال، صلّى ركعتين من غير الفريضة فإن ذلك من سعادته، فعن سعد بن أبي وقاص عن النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من سعادة ابن آدم استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله»[2].

ويقرأ فيهما بالفاتحة وما تيسّر من القرآن، والأفضل أن يقرأ في الرّكعة الأولى الفاتحة والكافرون وفي الثانية الفاتحة والإخلاص.

وبعد الصّلاة يدعو بهذا الدّعاء الذي جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه:

«اللّهمّ إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (ويسمى حاجته فيقول مثلاً هذا السفر...) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (السفر، أوالزواج) شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به»[3].

ويمضي المسلم في حاجته فإن كانت خيراً له سييسرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، وإن كانت غير ذلك سيصرفها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه، ويصرفه عنها، والله أعلم.

ثم الاستشارة: إذا وفقك الله للاستخارة فذلك من سعادتك فلاتنس أن تستشير أهل الخير من أهل العلم والتجربة الذين سبقوك في دروب الحياة، فعن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ

1 -البخاري(1162).
2 - الترمذي (2151) والحاكم (1903).
3 - نفسه حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ» [1] أي لاتستشر من لا أمانة له ولاعهد.

ولقد أثنى الله على نبيه الكريم في تفعليه خلق الاستشارة مع أصحابه مع أنّه مؤيّد بالوحي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما ندم من استخار الخالق، وشارو المخلوقين، وثبت في أمره» [2].

وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: 159] وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم.

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والاستخارة مع الله، والمشاورة مع أهل الرأي والصلاح، وذلك أن الإنسان عنده قصور أو تقصير، والإنسان خلق ضعيفًا، فقد تشكل عليه الأمور، وقد يتردّد فيها فماذا يصنع؟» اهـ، أي فليستخر ربه وليستشر أهل الفضل والخير.

20 - وَأَتْبِعِ الْخَطَأَ بِاعْتِذَارِ وَأَتْبِعِ الذَّنْبَ بِالِاسْتِغْفَارِ

وأتبع الخطأ باعتذار: كل بني آدم خطاء وخير الخطائين الذين ينهضون من سقطتهم، ويعتذرون لمن أساؤوا إليهم، وتطاولوا عليهم، والاعتذار خلق الواثقين بأنفسهم، والاعتذار عما بدر منا من خطأ ليس ضعفا كما يظنّه بعض النّاس، بل هو في الحقيقة قوة وشجاعة وثقة، ونقاء وصفاء نفس، كما أن الاعتذار يُزيل الأحقاد، ويقضي على الحسد، ويدفع عن صاحبه سوء الظن به والارتياب في تصرفاته، فشجاعة الاعتذار لايتقنها إلَّا الكِبار، ولا يحافظ عليها إلا الأخيار، ولا يغذِّيها وينمِّيها إلَّا

1 - أخرجه أحمد (12567)، والبزار (7196)، وأبو يعلى (2863) قال المنذري في الترغيب والترهيب (4/77) إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.
2 - الوابل (ص 201).

الأبرار، لأنها صِفة نابعة من قَلبٍ أبيض، لا يَحمل غشًّا، ولا يضمر شرًّا، فمَن عرَف خطأَه واعتذر عنه، فهو كبير في نَظر الكثير، والرُّجوعُ إلى الحقِّ فضيلة؛ وما أجمَلَ أن تكون مسارعًا إلى الخير، رجَّاعًا إلى الحق.

فهذا نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين صحب الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فنهاه الخضر عن سؤاله عن شيء حتّى يحدثه به ويوقفه على حقيقة الأمر، فلما خالف نبيّ الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الشرط اعتذر عن ذلك فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾[الكهف: 73].

وهذا نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اعتذر لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من سؤاله النجاة لولده الذي لم يكن مؤمنا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: 47].

وهكذا كان الصالحون لا يتكبرون عن الاعتذار إذا بدر منهم ما يستدعيه.

وقد روى أهل السير كابن هشام وابن كثير وغيرهما: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسوي الصّفوف في غزوة بدر وكان في يده شيء يسوّي به الصفوف، فرأى سواد بن غزية بارزا فطعنه في بطنه وقال له: «استو يا سواد».

فقال سواد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا رسولَ اللهِ أوجَعْتَني وقد بعثك اللهُ بالحقِّ والعدلِ فأقِدْني قال فكشف رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بطنِه وقال: «استقِدْ»، فاعتنقَه سواد فقبَّل بطنَه، فقال: «ما حملكَ على هذا يا سوادُ» ؟ قال: يا رسولَ اللهِ حضَر ما ترى فأردتُ أن يكون آخرُ العهدِ بك أن يمَسَّ جلدي جلدَك فدعا له رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير. فلم يمنعه كونه رسول الله، ولا كونه قائد الجيش من الاعتذار تطييبا لنفس ذلك الرجل.

وعندما فتح الله عليه مكة خشي الأنصار أن يميل النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإقامة في مكة، فقالوا: أمّا الرّجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته.

قال أبو هريرة: وجاء الوحي وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس

أحد يرفع طرفه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله، قال: «قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته» ؟ قالوا: قد كان ذاك، قال: «كلا، إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم». فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله، ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم».

وعن أبي الدّرداء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: «كَانَتْ بيْنَ أبي بَكْرٍ وعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فأغْضَبَ أبو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عنْه عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أبو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أنْ يَسْتَغْفِرَ له، فَلَمْ يَفْعَلْ حتَّى أغْلَقَ بَابَهُ في وجْهِهِ، فأقْبَلَ أبو بَكْرٍ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقالَ أبو الدَّرْدَاءِ ونَحْنُ عِنْدَهُ: فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أمَّا صَاحِبُكُمْ هذا فقَدْ غَامَرَ قالَ: ونَدِمَ عُمَرُ علَى ما كانَ منه، فأقْبَلَ حتَّى سَلَّمَ وجَلَسَ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَصَّ علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخَبَرَ، قالَ أبو الدَّرْدَاءِ: وغَضِبَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجَعَلَ أبو بَكْرٍ يقولُ: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أظْلَمَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هلْ أنْتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي، هلْ أنْتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي، إنِّي قُلتُ: يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي رَسولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقْتَ قالَ أبو عبدِ اللَّهِ: غَامَرَ: سَبَقَ بالخَيْرِ»[1]. فهذا الصديق يعتذر عما بدر ولا تمنعه مكانته وسابقته من تقديم الاعتذار عند الحاجة.

إذا اعتذر الجاني محا العذرُ ذنبَه وكان الّذي لا يقبل العذر جانيا

وينبغي لمن جاءه أخوه معتذرا ان يقبل عذره، قال الشاعر:

قيلَ لي قَد أَسى عَلَيكَ فُلانٌ وَمُقامُ الفَتى عَلى الذُلِّ عارُ

قُلتُ:قَد جاءَني وَأَحدَثَ عُذرا دِيَةُ الذَنبِ عِندَنا الاِعتِذارُ

1 - صحيح البخاري (4640).

وأتْبِعِ الذّنب بالاستغفار: من زلّ وأخطا في حقّ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأذنب فليبادر إلى التوبة والاستغفار، فهو الممحاة للسيئات، والموجب لرفع الدرجات، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود: 114].

و عن أبي ذَرٍّ جُنْدُب بْن جُنَادَةَ، وأبي عبْدِالرَّحْمن مُعاذِ بْنِ جبلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ» [1].

فالعبد لا يخلو من إحدى ثلاث حالات:

-1 إما وقوع في معصية.

-2 وإما ترك أو تقصير في واجب من الواجبات.

-3 أو أداء واجب لا يخلو من نقصٍ وخللٍ وتقصيرٍ.

وكُلُّها تحتاج إلى استغفار، فكم من مِحَنٍ وأزماتٍ زالت بالاستغفار! وكم من رحماتٍ تنزَّلَتْ بالاستغفار!

ومما يدل على أهمية ومنزلة الاستغفار هو كثرة ذكره في كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وسُنَّة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فتارةً يأمر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[البقرة: 199]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[هود: 3]، وتارةً يمدح ويُثني على المستغفرين؛ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[آل عمران: 17]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[الذاريات: 18]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[آل عمران: 135].

---

1 - حسن لغيره، أخرجه الترمذي (1987)، وأحمد (21392).

وفي الحديث القدسي:عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قال «يا عبادي، إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أَغْفِرُ الذنوبَ جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»[1].

فمهما بلغ العبد من الآثام فلا يعظم ذلك مع الاستغفار؛ ففي الحديث القدسي الصحيح: «يا بنَ آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي»[2]، وفي الحديث الصحيح: «مَنْ قال: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الذي لا إلهَ إلَّا هو الحَيُّ القَيُّومُ وأتوبُ إليهِ، غُفِرَ لهُ، وإنْ كان قد فَرَّ من الزحف» [3]؛ ولذلك أرشد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء إلى الاستغفار؛ لما رأى أنهنَّ أكثر أهل النار؛ كما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يا مَعشرَ النِّساءِ، تصدَّقْنَ وأَكْثِرْنَ منَ الاستغفارِ؛ فإنِّي رأيتُكُنَّ أَكْثرَ أَهْلِ النَّارِ»[4].

ولو أن المنافقين استعملوا الاستغفار لانتفعوا بذلك؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء: 64].

بل حتى الكُفَّار الذين طعنوا في ذات الله، فنسبوا له الصاحبة والولد؛ فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: 72]، وقال عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة: 73]، ومع ذلك يفتح لهم هذا الباب العظيم من أبواب المغفرة: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: 74].

---

1 - صحيح مسلم (2577).
2 - أخرجه الترمذي (3540) واللفظ له، وأحمد (13493) مختصراً بمعناه. حسن لغيره.
3 - أبوداود (1519)، والترمذي (3577) قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني: صحيح.
4 - رواه مسلم(250).

قال الشاعر:

أمن الذنوب وشرّها تتخوّف أم من تمادٍ في الجهالة تأسف
أفما علمت أنّ ربّك غافر لذنب أجمعه ومايتحيّـف
حاشا الإله أن يخيب تائبا قد جاءه مستغفرا يتلهف

21 - أَفْشِ السَّـلَامَ صَاحِبِ الْأَخْيَارَا لَا تُـؤْذِ إِنْسَـانًا أَخُـصُّ الْجَـارَا

أفْشِ السَّلام: تحيّة الإسلام السّلام، علّمها الله آدم وهو لايزال في جنة الخلد لتكون تحيته وتحية بنيه من بعده، فالسلام أمان وأجر واطمئنان، وإن بواكير دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة الدعوة إلى إفشاء السلام، فعن عبداللَّهِ بن سَلاَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيْل وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ» [1].

وإنها لمن حق المسلم على أخيه المسلم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حق المسلم على المسلم ستٌّ»، قيل: ما هنَّ يا رسول الله ؟ قال: «إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجِبْه، وإذا استنصَحك فانصَح له، وإذا عطس فحمِد الله فشمِّته، وإذا مرِض فعُدْه، وإذا مات فاتَّبعه»[2].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تدخلون الجنة حتى تُؤمِنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتُموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم» [3].

فلا شك أن إفشاء السلام علامةٌ على المحبة بين المسلمين، ولا شك أن إفشاء السلام بين المسلمين والمحبة بينهم تغيظُ الكفار، بل ترعبهم؛ فهم يحاولون أن يُفرِّقوا

1 - رواهُ الترمذيُّ (2485) وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
2 - رواه مسلم (5778).
3 - أخرجه مسلم (54)، وأبو داود (5193)، والترمذي (2688)، وابن ماجه (68) واللفظ له، وأحمد (9709).

بين المسلمين في معتقداتهم، فيأتوهم بآراء تخالف عقيدتهم، ويأتوهم بأفكار تخالف الفكر السليم، بل حتى في أخلاقهم وسلوكهم والعياذ بالله، وللأسف انجرف مع هذه الآراء والأفكار الضالَّة بعضُ شباب المسلمين، فحصل بذلك الفُرقة، ولذلك نهانا الله عن الفرقة، فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[آل عمران: 103]، فمِن أسباب حصول الاجتماع والألفة بين المسلمين إفشاء السلام، ولا شك أن فضلَه عظيمٌ، فإذا قال المسلم لأخيه المسلم: السلام عليكم؛ نال بإذن الله عشر حسنات، وإن قال لأخيه المسلم: السلام عليكم ورحمة الله؛ نال بإذن الله عشرين حسنة، وإن قال لأخيه المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ نال بإذن الله ثلاثين حسنة.

قال الشاعر[1]:

أمرُّ بصاحبي أُلقي السَـلاما ... أميلُ إليهِ حُبًّا واحتـراما
فما أصفى القلوبَ إذا تآخَـتْ ... وأشقاها إذا شحنَتْ خِصـاما
وخيرُ الناسِ مَن في الناسِ يَسعى ... بخـيرٍ أو يوَدُّ لهم وِئاما
وشرُّ الناسِ من يَسعى لشَـرٍّ ... ويقضي العمرَ حِقداً وانتقـاما
صدقْتَ أيا رسـول اللَّهِ إنِّي ... فديْتُـك واتخذتُك لي إماما
تقولُ لنا إذا رمْتُم إخـاءً ... وحُبًّا بينَكم: «أفشُـوا السَّلاما»

صاحب الأخيارا: الصاحب ساحب كما قيل إما إلى الجنة وإما إلى النار، فاختر في صحبتك الأخيار، الذين إذا ذكرت الله أعانوك وإن نسيت ذكروك، ولربّ صحبة أثمرت عزًّا وفخارا، وتكون لك نفعا في الدنيا وشفاعة في الآخرة، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٖ حَمِيمٖ﴾[الشعراء: 100 - 101]، وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: 67].

---

1 - للشاعر أ/ محمود مفلح.

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل الجليس الصالح والجليس السّوء؛ كمثل صاحب المسك وكير الحدّاد، لا يعدمك من صاحب المسك: إمّا تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحًا خبيثة» [1].

قال أبو حاتم: «العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنَّ مودة الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومودّة الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار، لم يسلم من الدّخول في جملتهم، فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب؛ لئلا يكون مريبًا، فكما أنَّ صحبة الأخيار تورث الخير، كذلك صحبة الأشرار تورث الشّرّ» [2].

قال الشاعر:

عليك بإخوان الثقات فإنهم قليل فَصِلْهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وصنها فإنها متى ما تجالس سفلة الناس تغضب

ومن صاحب الأخيار ذُكر بخير ولو كان مقصّرا في العمل والطّاعات، وشفع له ولو كان متأخرا عن الركب، بل ولو كان من العجماوات، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: في شأن كلب صاحب فتية مؤمنة في أوّل الدهر: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[الكهف: 22].

إنّ الإخوان الصّالحين نعمة عظيمة من الله، وغنيمة نافعة، فقد روي عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لولا ثلاث ما أحببت البقاء ساعة: ظمأ الهواجر - الصيام في النهار الحار- والسجود في الليل، ومجالسة أقوام ينتقون جيد الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر».

1 - رواه البخاري (2101).
2 - روضة العقلاء (ص 80).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا القيام بالأسحار، وصحبة الأخيار ما اخترت البقاء في هذه الدار.

قال الشاعر:

إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي ألذ وأشهى من غويٍّ أعاشر
وأجلس وحدي للعبادة ءامنا أقَرُّ لعيني من جليس أحاذره

لاتؤذ إنسانا أخصّ الجارَ: لايصدر الأذى للناس إلا ممن خبثت سيرته، وطويت على الشرور سريرته، وأما المسلم فإنه مسالم للغير مهما كان ذلك الغير، مالم يكن محاربا له في الدين أو قد أخرجه من دار الإسلام،ولذلك فإن إنسانا تعم كل إنسان، وقد قال الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة: 8 - 9].

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «وقوله: «﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾[الأحزاب:58]-أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه- ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: 58] وهذا هو البهت البيّن أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم».

لقد بلغت الشريعة أن حرَّمت ما يؤدي إلى مضايقة المسلم في مشاعره، فقال النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا كُنْتمْ ثلاثَة فَلا يتنَاجَى اثنانِ دونَ صاحبِهِمَا؛ فإنَّ ذلكَ يُحْزِنُه»[1] وفي رواية: «فإنَّ ذلكَ يُؤذِي المؤمِن، والله يكْرَهُ أذَى المؤمِن»[2].

بل وصل الأمر إلى الجزاء بالجنة لمن أزال شوكة عن طريق المسلمين؛ قال

1 - صحيح البخاري (6290) و أخرجه مسلم (2184) باختلاف يسير.
2 - أخرجه الترمذي (2825) وقال: حديث صحيح. وأبو يعلى (2444) باختلاف يسير، والطبراني في المعجم الأوسط (4988)، واللفظ له والضياء في الأحاديث المختارة (269).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مر رجلٌ بغصنِ شجرةٍ على ظهرِ طريق، فقال: واللهِ لَأُنحيَنَّ هذا عنِ المسلمِين لا يؤذِيهم؛ فأُدخِلَ الجنَّة»[1]، فانظر ثواب من كفَّ عن المسلمين أذى وإن كان يسيرا، وإن لم يتسبب فيه.

إن مجرد كف الأذى لَهُو معروفٌ وإحسان يثاب عليه المسلم؛ قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «تكفُّ شرَّكَ عنِ الناسِ فإنها صدقةٌ منكَ على نفسِك»[2]. والأحاديث في الدلالة على منع أذية المؤمنين كثيرة وفيرة، بل ولو كانت لغرض مشروع، كتخطي رقاب الناس في المسجد، أو أكل البصل والثوم وشرب السجائر، فواجب كف الأذى.

إن للأذية صوراً لا تكاد تتناهى، وعلى المسلم أن يتجنبها جميعاً؛ فكيف إذا كان ذلك الإنسان هو جارك المسلم الذي خصه بحقوق فوق كل مسلم آخر بعيد الجوار، وقد قيل: حق الجار على ثلاث مراتب: أدناها كف الأذى عنه، ثم احتمال الأذى منه، وأعلاها وأكملها: إكرامه والإحسان إليه.

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرُهم لجارِه».[3]

وقد حذَّر النبي من ذلك أشدّ التحذير فقال كما في حديث أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: مَن يا رسولَ الله؟ قال: «الذي لا يأمن جارُه بوائقَه»[4]، أي: الذي لا يأمن جارُه ظلمه وغدره وخيانته وعدوانه، وهذا دليلٌ على تحريم العدوان على الجار بأي صورة كانت، وأنَّ ذلك من كبائر الذنوب، فليحذر المسلم أشدَّ الحذر أن يكون متصفاً بشيءٍ من هذه الأوصاف.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة تكثر من

1 - رواه مسلم (6836).
2 - رواه مسلم (260).
3 - أخرجه أحمد في المسند (6566) قال شيخنا شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي (1944) وقال: حسن غريب.
4 - البخاري (6016).

صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النّار»، قال: يا رسول الله، فإنّ فلانة يذكر من قلّة صيامها وصلاتها، ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنّة»[1].

قال المثقب العبدي:

أكرم الجار وراع حقه إنّ عرفانَ الفتى الحقَّ كَرَم

22 - وَرَاعِ آدَابَ بُيُوتِ النَّاسِ كَغَضِّ طَرْفٍ وَكَالِاسْتِئْنَاسِ

وراع أيّها المسلم تلك الآداب التي أدبك بها القرءان نحو بيوت الآخرين، من الاستئناس[2]، والاستئذان، والدّقّ على الأبواب، ومجانبة الوقوف تجاه وسط البيت إذا كان الباب مفتوحا، ومن النظر من ثقب الباب، وغير ذلك مما يجب اجتنابه من انتهاك حرمة البيوت،قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[النور:27-31].

وآداب البيوت كثيرة ننوه إلى بعضها منها:

غضّ الطّرف: لاينبغي للمسلم أن يرمي بسهام بصره إلى داخل الدور المفتوح أبوابها، وإنما عليه أن يقف جانبا ويسلم ثلاثا ويستأذن فإن أذنوا له وإلاّ رجع، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ، لَمْ يَسْتَقْبِلِ

1 -أخرجه أحمد (9675)، والبخاري في الأدب المفرد (119) واللّفظ له، والبزار (9713) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد(88).

2 - الاِسْتِئْنَاسُ بِالأَصْحَابِ: الأُنْسُ بِهِمْ ومُجَالَسَتُهُمْ.

الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ، وَيَقُولُ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ»، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ» [1].

ولايستقبل باب الدار: فعَنْ هُزَيْلٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَوَقَفَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ _ مُسْتَقْبِلَ الْبَابِ _ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا عَنْكَ، أَوْ هَكَذَا، فَإِنَّمَا الاِسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ» [2].

ومنها أن يلقي السلام فصيحة صريحة فعَنْ كَلَدَةَ بْنِ حَنْبَلٍ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَبَنٍ وَجِدَايَةٍ وَضَغَابِيسَ _ نوع من الحشيش _ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَدَخَلْتُ وَلَمْ أُسَلِّمْ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَقُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ»، وفي لفظ: «السلام عليكم أدخل»[3].

وعَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ: «حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ: أَأَلِجُ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَادِمِهِ: «أَخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاِسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ»، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ»[4].

ومنها ألايطلع على ما في الدور من غير إذن: فمن اطلع من ثقب الأبواب أوبعض التشققات فيه ففقئوا عينه فلايلومن إلا نفسه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ»[5].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَفَقَئُوا عَيْنَهُ، فَلاَ دِيَةَ لَهُ وَلاَ قِصَاصَ» [6].

---

1 - أخرجه أبو داود (5188). صحيح

2 - أخرجه أبو داود (5176) صحيح.

3 - أخرجه الترمذي (2710)، وأبو داود (5178) صحيح.

4 - أخرجه أبو داود (5177) صحيح.

5 - رواه البخاري(6900) ومسلم(5768).

6 - البخاري (6902) (بَاب مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ فَفَقَئُوا عَيْنَهُ فَلاَ دِيَةَ لَهُ) وأخرج أحاديث بمعناه.

فيحرم على الإنسان أن يطّلع على عورات المسلمين، سواءً عن طريق الباب، أو النّوافذ، أو الشقوق أو الفتحات الموجودة في الجدر، أو من السطح، أو عن طريق الدرابيل أو النواظير، فكل ذلك حرام لا يجوز، ومن فعل ذلك فهو آثم وعاص، ويحلّ لهم في مثل هذه الأحوال أن يفقئوا عينه، وهي هدر، وربما اتخذ بعض الناس نساءه أو محارمه عند جيرانه أو عند غيرهم، ربما اتخذ ذلك وسيلة للنظر إلى بيوت الغير والنظر إلى محارمهم.

وحتّى إنّه قيل: لا يجوز للأعمى أن يكون تلقاء باب البيت، لئلا يسمع صوت النّساء، أو يسمع صوتاً لا يحبّ صاحب البيت لأحد أن يسمعه، لاسيما وأنّ العميان في الغالب أشدّ إدراكاً وحساسية من المبصرين وهذا شيء معروف، إذن لا يزال الخطر موجوداً في حق الأعمى.

23 - وَأَكْـرِمِ الضَّيْـفَ وَكُنْ مُبْتَسِـمًا انْـصُرْ أَخَـاكَ آثِـرَنَّ الْمُسْـلِمَا

وأكرم الضّيفَ

إنّ من مناقب العرب قبل الإسلام الكرم والضيافة وهي التي زادها آدابها الإسلام بهاء وجمالا، ولقد ضربت بهم الأمثال، كما ضرب بخليل الرحمان إبراهيم المثل العظيم في إكرامه لضيفانه، وخلد ذلك في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قرءانا يتلى يجلي الضيافة وآدابها، حتى لقب بأبي الضيفان، وإكرام الضيف باليسير الموجود خير من البخل وردّ الضيف، وذلك من علامة الإيمان، فيجب على المضيِّف أن يكرم ضيفه، ويقوم بحقه، ويدل على ذلك:

ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» قَالَ: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ،

فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ»[1].

وفي لفظ: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ»[2].

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «جائزته يوم وليلة» سئل مالك بن أنس عنه فقال: يُكرمه، ويتحفه، ويخصّه، ويحفظه، يوماً وليلة، وثلاثة أيام ضيافة[3].

قلت: يريد أنه يتكلّف له في اليوم الأول بما اتّسع له من برٍّ، وألطاف، ويقدِّم له في اليوم الثّاني والثّالث ما كان بحضرته، ولا يزيد على عادته، وما كان بعد الثّلاث: فهو صدقة، ومعروف، إن شاء فعل، وإن شاء ترك.

والضّيف الّذي يجب إكرامه، وله حقّ على المضيف، هو الضيف المسافر، وهو القادم من بلد آخر.

فيجب على من ينزل عليه أن يطعمه ويكرمه، فإن لم يفعل فله حق في ماله، وهذا لا ينطبق على الزائر من البلد نفسه، وليس قادماً من السفر، فهذا يمكن أن تقول له: «ارجع»، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[النور: 28].

ومما يدلّ على ما قلناه: ما يوجد في بعض الأحاديث من التّصريح بذلك، وأنّ الحقّ للضّيف إنّما هو للمسافر، وليس للمقيم، ومنه:

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّك تَبْعَثُنَا فَنَمُرُّ بِقَوْمٍ لَا يَقْرُونَنَا [أي لا يقدموا لنا حق الضيف]، فَمَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ»[4].

وقد اختلف العلماء في حكم الضيافة، وعلى من تجب: فقد ذهب الحنفية والمالكية

1 - رواه البخاري (5673) ومسلم (48).
2 - رواه مسلم (48).
3 - معالم السنن (4/238).
4 - رواه البخاري (2329) ومسلم (1727).

والشافعية إلى أنّ الضيافة سنَّة، ومدتها ثلاثة أيام، وهو رواية عن أحمد.

والرواية الأخرى عن أحمد - وهي المذهب - أنها واجبة، ومدتها يوم ليلة، والكمال ثلاثة أيام. وبهذا يقول الليث بن سعد.

ويرى المالكية وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك.

والضيافة على أهل القرى والحضر، إلا ما جاء عن الإمام مالك، والإمام أحمد - في رواية - أنه ليس على أهل الحضر ضيافة، وقال سحنون: الضيافة على أهل القرى، وأما أهل الحضر فإن المسافر إذا قدم الحضر وجد نزلاً - وهو الفندق - فيتأكد الندب إليها ولا يتعين على أهل الحضر تعينها. انتهى[1]

والراجح – والله أعلم – أن ضيافة المسافر المجتاز – لا المقيم - واجبة، وأن وجوبها على أهل القرى، والأمصار، دون تفريق.

قال دعبل الخزاعي:

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنـــي ما سَرَّني ... شَيْءٌ كَطارِقَةِ الضُّيوفِ النُّزَّلِ

ما زِلْتُ بالتَّرحِيبِ حتى خِلْتُني ... ضَيفًا لَهُ والضَّيْفَ رَبَّ المَنْزِل

وقال آخر:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وأنت رب المنزل

وكن مبتسما: الابتسامة خلق رفيع في الإسلام يهتدي إلى ذوقها أولو الأخلاق العالية، ويتجافاها أهل الجفاء والغرور، ولها أثر حسن على الآخرين صغارا وكبارا وهي مما يزرع الألفة والمحبة بين الناس، ولقد جعلها الإسلام صدقة من الصدقات العظيمة، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة» [2].

---

1 - الموسوعة الفقهية (28/316، 317).

2 - رواه مسلم(2283)، وابن حبان(3346) والترمذي (1956) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

قال ابن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين، وجه طليق، وكلام ليّن[1].

قال الشاعر:

تجافى النومُ بَعدَك عن جُفوني ولكن ليس يَجفوها الدموعُ
يذَكِّرُني تَبَسُّمَك الأقاحي ويَحكِي لي تَوَرُّدَك الربيعُ [2]

كن مبتسما للضيف ولغيره، فالابتسامة للضيف والترحيب به مدعاة لزوال الكلفة، وتمام الألفة، قال الشاعر:

أضاحك ضيفي عند إنزال رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عندي والمحَلُّ جَدِيبُ

ومن ترك العبوس والتقطيب، واتصف بالبشْر والطّلاقة؛ لانت عريكته، ورقَّت حواشيه، وكثر محبّوه، وقلَّ شانؤوه.

قال ابن عقيل الحنبلي: البِشْر مُؤنِّس للعقول، ومن دواعي القبول، والعبوس ضده.

وفيه رد على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، وعلى العابد الذي يعبس وجهه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم.

قال الغزالي لا يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى يغضب، ولا في الوجه حتى ينفر، ولا في الخدّ حتّى يصعر ولا في الظّهر حتّى ينحني ولا في الذلّ حتى ينضم إنما الورع في القلب.

انصر أخاك: قاعدة عظيمة في نصرة الأخ، ظالما كان الأخ أو مظلوما، ولكن ليست على ظاهرها إذا كان ظالما فقد بين الإسلام تلك النصرة وحدودها، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ

1 - فيض القدير (3 /226).
2 - ديوان ابن عبد ربه (163) العقد الفريد (5/417) يتيمة الدهر (2/99).

مَظْلُومًا»[1] وفي لفظ «فَقَالَ رَجُل: يَا رَسُول اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْت إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ: تَحْجِزُهُ عَنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[2].

إنَّ المؤمن يجب عليه أن ينصر المؤمن إذا كان مظلومًا، وهذا واضح، وكذلك ينصره إذا كان ظالمًا بمعنى أنه يجب عليه منعه من هذا الظلم؛ لأنَّ في منعه من ذلك نصرًا له على شيطانه الذي يغويه وعلى نفسه التي تطغيه، وكفه عن امتداد طغيان نفسه الأمارة بالسوء.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشرط الناصر أن يكون عالما بكون الفعل ظلما. ويقع النصر مع وقوع الظلم وهو حينئذ حقيقة، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنسانا من يد إنسان طالبه بمال ظلما وهدده إن لم يبذله وقد يقع بعد وهو كثير»[1].

(لطيفة)

ذكر المفضل الضبي في كتابه «الفاخر» أن أول من قال: «انصر أخاك ظالما أومظلوما» جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، وأراد بذلك ظاهره وهو ما اعتادوه من حمية الجاهلية، لا على ما فسره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك يقول شاعرهم:

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم على القوم، لم أنصر أخي حين يُظْلَمُ»[4].

آثرنّ المسلما: الإيثار: قال ابن مسكويه: «الإيثار: هو فضيلة للنَّفس بها يكفُّ الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصُّه حتى يبذله لمن يستحقُّه»[5].

وقيل: «الإيثَار أن يقدِّم غيره على نفسه في النَّفع له، والدَّفع عنه، وهو النِّهاية في الأخوة» [6]. ومعياره: لا يستحقّ أحد من النّاس ألقاب الفضيلة والمروءة والفتوّة

1 - البخاري (2443).
2 - البخاري (2444).
1 - فتح الباري (7/349).
4 - المرجع السابق (7/350).
5 - تهذيب الأخلاق (ص 19).
6 - التعريفات للجرجاني (1/59).

ويكون بها خليقا، إلّا من تخلّق بهذه الخصلة الكريمة وحظي بها.

و لذلك يعدّ الإيثار أحد أبرز الفضائل والقيم الإسلامية حيث وصف القرءان به أنبل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنصار حينما آووا إخوانهم المهاجرين وآثروهم على أنفسهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: 9].

قال ابن كثير:»أي: يقدِّمون المحاويج على حاجة أنفسهم،ويبدؤون بالنَّاس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك» [1].

ويقول ابن تيمية: «وأمَّا الإيثَار مع الخصاصة فهو أكمل مِن مجرَّد التَّصدق مع المحبَّة، فإنَّه ليس كلُّ متصدِّق محبًّا مؤثرًا، ولا كلُّ متصدِّق يكون به خصاصة، بل قد يتصدَّق بما يحبُّ مع اكتفائه ببعضه مع محبَّة لا تبلغ به الخصاصة»[2].

وإليك صورة من أروع صور الإيثار عند الرّعيل الطّاهر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ: أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي. فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: 9]» [3].

فلذلك ينبغي إيثار المسلم أخاه المسلم ويكون له رافدا في الخير، يؤثره في

1 - تفسير القرآن العظيم (8/70).
2 - منهاج السنة النبوية لابن تيمية (7/129).
3 - البخاري (3798).

الحاجات، ويكفيه المؤونات، ومن صفى له الإخوان فليؤثرهم وليجعلهم عدة لغدر الزمان، وتنكر الخلان، والله المستعان.

قال الشَّاعر:

عجبتُ لبعضِ النَّاسِ يبذلُ ودَّه ... ويمنعُ ما ضمَّت عليه الأصابعُ

إذا أنا أعطيتُ الخليلَ مودَّتي ... فليس لمالي بعدَ ذلك مانعُ[1]

24 - عَـنْ كُلِّ مَا يَسُـوءُ كُـنْ عَفِيفًا ... حَافِـظْ عَلَى الصِّحَّةِ كُـنْ نَظِيفًا

عن كلّ مايسوء كن عفيفا: العفة: الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ[2]، والعفة خلق من أخلاق المسلم التي يترفع بها عن دنايا الأمور، والحط من قيمه الأخلاقية التي تزين باطنه وظاهره، وبها ينأى عن كل إساءة، ويسعى لكل إحسان، و العفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم.

فأما العفة عن المحارم فنوعان:

أحدهما: ضبط الفرج عن الحرام.

والثاني: كف اللسان عن الأعراض.

فأما ضبط الفرج عن الحرام؛ فلأنه مع وعيد الشرع، وزاجر العقل معرة فاضحة، وهتكة واضحة[3].

وأما العفة عن المآثم فنوعان: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة [4].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ومن يستعفف يعفَّه الله، ومن

1 - التذكرة الحمدونية لابن حمدون (4/358).
2 - لسان العرب لابن منظور (9/253). (مختار الصحاح) للرازي (4/1405).
3 - أدب الدنيا والدين للماوردي (321).
4 - أدب الدنيا والدين للماوردي، بتصرف (ص 329).

يستغنِ يغنه الله. ومن يصبر يصبره الله»[1].

قال ابن عبد البر: «فيه الحض على التعفف والاستغناء بالله عن عباده، والتصبر، وأنَّ ذلك أفضل ما أعطيه الإنسان، وفي هذا كلِّه نهي عن السؤال، وأمر بالقناعة والصبر»[2].

- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سرّحتني[3] أمي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتيته وقعدت فاستقبلني وقال: من استغنى أغناه الله عز وجل ومن استعفَّ أعفَّه الله عزَّ وجلَّ، ومن استكفى كفاه الله عزَّ وجلَّ، ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد ألحف. فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله»[4].

- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى». [5]

قال النووي: «أما العفاف والعفة؛ فهو التنزه عما لا يباح، والكف عنه، والغنى هنا غنى النفس، والاستغناء عن الناس، وعما في أيديهم»[6].

وحذر الناظم من الإساءة وحثك أيها النبيل على اجتنابها وأمرك بالتعفف عن حياضها الوبيئة، ومراتعها الوخيمة، ولعمر الله إنها لمن أعظم سبل العفة، حينما يكف المرء يده ولسانه بل وسائر جوارحه عن الإساءة، فاللّهمّ وفق لما فيه رضاك.

قال الشاعر:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإنَّ ذلك نقصٌ منك في الدِّينِ

---

1 - رواه البخاري (1469)، ومسلم (1053).
2 - التمهيد لابن عبد البر (10/133).
3 - السرح: الإرسال. يقال: سرح إليه رسولًا: أي أرسله. (تاج العروس) للزبيدي (6/463).
4 - رواه النسائي (2595)، وأحمد (3/9) (11075). وصحح إسناده أحمد شاكر في (عمدة التفسير) (1/329)، وجود إسناده الألباني في (السلسلة الصحيحة) (5/401).
5 - رواه مسلم (2721).
6 - شرح صحيح مسلم (17/41).

لن يقدرَ العبدُ أن يعطيك خَرْدلةً إلا بإذنِ الذي سوَّاك مِن طينِ
فلا تصاحبْ غنيًّا تستعزُّ به وكن عفيفًا وعظِّمْ حُرمةَ الدِّينِ
واسترزقِ اللهَ ممَّا في خزائنِه فإنَّ رزقَك بينَ الكافِ والنُّونِ

حافظ على الصّحة: الصحة: خلاف المرض، أو هي سلامة الجسم من العيوب والآفات، وفسَّرها صاحب «المصباح» بأنها حالة طبيعية في البدن تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي، وصحَّ يَصِح، فهو صحيح وصِحاح.

ومن المعلوم أنّ نعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كثيرة، وأحقُّها بالرعاية، وأوْلاها بالشكر – وهو حُسن توجيه النعمة وصرْفها فيما خُلِقت له – ونعمتا الصحة والفراغ نعمتان كبيرتان ؛ ذلك بأنهما رأس مال المُتَّجِر في الآخرة والأولى، وأعظم وسائل السَّعادة في الدين والدنيا، وهل يُحسِن عابد عبادته، أو يُتقِن عامل عمله، أو يُصابِر داعٍ في دعوته، أو يوفِّي راعٍ حقَّ رعيته، إذا سُلِب تاج الصحة، أو غُلَّ بأغلال العيش وأثقال الحياة؟

وإذا كان الشكر على قَدْر العطاء، فحقيقٌ بمن آتاه الله إحدى هاتين النعمتين ألا يدَّخِر وُسْعًا في تثميرهما والانتفاع بهما، وإن حُرِم أختها، وهي لها نِعْم الظهير والمعين.

والصّحة نعمة عظيمة عند الأصحاء إن أحسنوا توظيفها في ماينفعهم وإلاَّ فهي غبن وضياع فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[1].

و المحافظة على الصحة تعني المحافظة على كيانك التي تتعبّد اللهَ به، وتعمر به دنياك، وتغرس لأخراك، والمحافظة على الصحة دليل على قوة المؤمن وخيرتيه التي يريدها الله أن يكون عليها: «فالمؤمن القوي خير وأحّب إلى الله من المؤمن الضعيف»[2].

1 – أخرجه البخاري (6412) في كتاب الرقاق.
2 – تقدم تخريجه.

فحافظ عليها بالمطعم الطيب الحلال فهو أساس البنية، وقوام الجمال، وبالرياضة والحمية عن كل طعام يخلّ بها ويجعلها في تدهور ووبال، وداوم على التنظف بالماء الزلال، كما نبهك الناظم بقوله:

كن نظيفا: فالنظافة عنوان المسلم الذي شرع له الوضوء والاغتسال، وجعلت صلاته لاتقبل بحال من الأحوال إلا إذا كرر التطهر في اليوم أكثر من خمس على التوال، وكان عنوان اول كتاب في الفقه الإسلامي كتاب الطهارة ليدلك على مابعده من اللياقة، و يعدّ الإسلام دين الطهارة والنظافة بأشمل معانيها، حيث حرص على نظافة العقيدة من الخرافات والأباطيل، وحرص أيضاً على نظافة الأخلاق من الفواحش والرذائل، ونظافة اللسان من الفحش والشتم من الكلام، ونظافة البدن والثياب من الأوساخ والأقذار، إضافةً إلى الحرص على نظافة البيت والمسجد والطريق.

والنظافة في الإسلام قيمة إيمانية عظيمة الشأن، فهي من الأشياء التي يحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: 222]، وهي جزء لا يتجزأ من الإيمان، كما قال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الطَّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ»[1]، فهي عبادة رفيعة يُثاب فاعلها ويأثم تاركها في بعض مظاهرها؛ يراعيها المسلم ويتحلّى بها في كلّ الأوقات والظّروف.

وقد عني النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بنظافة الإنسان، فدعا إلى الاغتسال، وخاصة يوم الجمعة فقال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»[2]، «وحقّ على كل مسلم في كل سبعة أيام: يوم يغسل فيه رأسه وجسده»[3].

وعني بنظافة الفم والأسنان خاصة، فرغّب في السّواك أعظم الترغيب فقال

1 -البخاري (2072).من حديث المقدام بن معديكرب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

2 - رواه البخاري (879)، ومسلم (846) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

3 - رواه البخاري (897)، ومسلم (849)،من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» [1] وبنظافة الشعر «من كان له شعر فليكرمه»[2]، وبإزالة شعر الإبط والعانة وتقليم الأظفار.

وعني بنظافة البيت وساحاته وأفنيته، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله جميل يحب الجمال طيِّب يحب الطِّيب، نظيف يحبّ النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»[3].

وعني بنظافة الطريق، وتوعد كل من ألقى فيه أذى أو قذرا، ووعد بالمثوبة لمن أماط ما يؤذي الناس عنه «وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[4].

وحذر أشد التحذير من أعمال قد يرتكبها بعض الجهال دون اكتراث لنتائجها. مع أنها تعد من أشد مصادر العدوى خطرًا، فضلا عما في ارتكابها من منافاة الذوق السليم، والبعد عن خصائص الإنسان الراقي، كالبول في الطرق أو تحت الأشجار المثمرة أو التّي يستظل فيها الناس أو عند موارد الناس فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا الملاعن الثلاث»[5] وسمّاها بذلك لأنها تجلب لعنة الناس الله على من فعل ذلك.

ولقد جعل الإسلام الطّهارة شرطا لصحة الصلاة التي هي عمود الإسلام، قال ﷺ: «لا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طهورٍ، ولا صدقةٌ من غُلولٍ»[6].

وقد امتدح الله عزّ وجلّ أهل قباء، وجعل حرصهم على النظافة والطهارة سببا في حبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: 108]. أي يتطهرون من الأحداث والجنابات والنجاسات،

---

1 - رواه أحمد (24203) وقال مخرجوه: صحيح لغيره والنسائي (5)، وابن حبان (----) كلاها في الطهارة وصححه الألباني في الصحيحة (2517)، عن عائشة.

2 - رواه أبو داود في الترجيل (4163)، والطحاوي في مشكل الآثار (434/8)، والطبراني في الأوسة (8485)، وصححه الألباني في الصحيحة (500)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

3 - رواه الترمذي في الأدب (2799) وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف وراه البزار (1114)، وضعفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (113)، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

4 - رواه البخاري في الجهاد والسير (2989)، ومسلم في الزكاة (1009) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

5 - رواه أبو داود (26)، وابن ماجه (328)، والحاكم (167/1)، وصحح إسناده ووافقه الذهبي.

6 - رواه مسلم (224).

وقال عطاء: «كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون باللّيل على الجنابة»[1].

فهلمّ أيّها المسلم النقي إلى الطّهارة بكلّ معانيها، باطنا وظاهرا،﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[المدثر: 5-4].

25 - حَافِظْ عَلَى الْأَذْكَارِ فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْمَسَاءِ تَحْظَ بِالْفَلَاحِ

الأذكار حصن المسلم من كل أذية، ونجاة من كل بلية، تعددت أورادها، فكثرت بركاتها، تربط المسلم بربّه، وتُعلِّق قلبَه به، وتُحصِّنه من الشياطين والشرور المختلفة، تساعد على حلول البركة في الصحّة، والمال، والأولاد، حماية المسلم من شرّ ما خلق من الإنس والجن.

الأذكار تقرّب العبد من ربه فيغفر ذنوبه، ويمحو سيئاته، ففي المحافظة على ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير كثير في هذه الحياة، وأجر عظيم في الآخرة، وأذكار الصّباح والمساء من أهم الأذكار التي ينبغي للمسلم أن يحافظ عليها.

فعن أبي الدّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضربوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم ؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ».[2]

فمن فوائدها انشراح الصّدر، وطمأنينة القلب، ومعيّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذكره للعبد في الملأ الأعلى، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: 28]. وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقول

1 - تفسير البغوي.
2 - أخرجه الترمذي (3377) واللفظ له، وابن ماجه (3790)، وأحمد (6/ 447).

الله عزّ وجلّ أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم»[1].

وإذا حرص المسلم على ذكر الله في كل أحواله من القيام، والقعود، والاضطجاع، وفي الصباح والمساء، ودُبر الصلوات المفروضة، وكلّما غدا أو راح، وفي كلّ حالٍ ووقتٍ وحين، فقد دخل في زمرة عباد الله الذاكرين الله كثيراً، وذلك تحقيقاً لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:35]. وقال مجاهد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات إلّا إذا ذكر الله قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً».

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لكل شيء جلاء، وإن جلاء القلوب ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما، وجلاؤه بالذكر. فإنه يجلوه حتى يجعله كالمرآة البيضاء، فإذا تُرِكَ الذكر صَدِىَ القلب، فإذا ذكر العبد ربه جلاه. وصدأ القلب بأمرين: الغفلة والذنب.. وجلاؤه بشيئين: الاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكبًا على قلبه، وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب، لم تنطبع.

والمحافظة على اذكار الصباح والمساء من اعظم سبل الخير، والخروج من تهمة النفاق والضير، فحافظ عليها تكن في السماء مذكورا، وفي الأرض بإذن الله منصورا.

وأختم لك هذه العجالة بقول الحافظ ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حافظ على أذكار الصباح والمساء وأذكار بعد الصلوات وأذكار النوم عُدّ من الذاكرين الله كثيراً»[2].

فلايكن الكون من حولك كله يسبح، الطير في الهواء، والحوت في الماء، النملة في جحرها، الدواب والشجر، الجبال والحجر، الهواء والماء، الأرض والسماء ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: 44]، وتبقى أنت

---

1 - البخاري (7405) ومسلم (6981) وغيره.
2 - الأذكار للنووي (10).

أسير الغفلة والهوى، صريعَ الجهل والنسيان.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[النور: 41].

فلا تُبقِ فعل الصَّالحات إلى غدٍ لعلّ غدًا يأتي وأنتَ فقيدُ

26 - إِذَا عَطَسْتَ فَاحْمَدَنَّ اللهَ وَشَمِّتَنْ مَنْ حَمِدَ الْإِلَهَ

العطاس هو خروج لا إرادي ومتشنج للهواء من الرئتين عبر الأنف والفم، وهي حركة مفيدة للإنسان لأنها تمكن الجسم من التخلص من الجسيمات الدخيلة والمواد المثيرة للحساسية عبر الأنف ومن خلال المخاط الأنفي، كل ذلك يحدث مع توقف لأغلب أجهزة الإنسان وتغمض العينان لا إراديا، وفيه فوائد عظيمة للجسم ولذلك أخبرنا الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ، ويَكْرَهُ التَّثاؤُبَ، فإذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ على كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يُشَمِّتَهُ، وأَمَّا التَّثاؤُبُ: فإنَّما هو مِنَ الشَّيْطانِ، فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطاعَ، فإذا قالَ: ها، ضَحِكَ منه الشَّيْطانُ»[1].

وعن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دَخَلْتُ علَى أَبِي مُوسَى وَهو فِي بَيْتِ بنْتِ الفَضْلِ بنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إلى أُمِّي فأخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا، فَقالَ: إنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ، فَحَمِدَتِ اللَّهَ فَشَمَّتُّهَا، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتُوهُ، فإنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فلا تُشَمِّتُوهُ»[2].

ولقد علمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آداب كلّ فعل من الأفعال الصّادرة من المسلم عفوا، كالعطاس والتثاؤب والتجشؤ وغير ذلك، وربط ذلك بأخلاقيات المسلم وبالأدعية؛ ليكون قدوة حسنة لغيره، وليكون المسلم دوما في معية الله؛ فعليه أن

1 - البخاري (6223).
2 - مسلم (2992).

يكون حامدا وشاكرا وذاكرا له على كل حال، وملتزما بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شؤونه.

وفي هذا الحديث يروي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب العطاس ويكره التثاؤب؛ والسبب في ذلك أن العطاس يدل على النشاط والخفة؛ ولهذا تجد الإنسان إذا عطس نشط، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحب الإنسان النشيط الجاد، والتثاؤب إنما يكون مع ثقل البدن وامتلائه وعند استرخائه للنوم وميله إلى الكسل، ولأجل ذلك المعنى صار العطاس محمودا يحبه الله، والتثاؤب مذموما يكرهه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولأنّ العطاس يعين على الطاعات، والتثاؤب يثبط عن الخيرات وقضاء الواجبات، وجعل التثاؤب من الشيطان كراهة له، ولأن الشيطان هو الذي يدعو إلى إعطاء النفس شهوتها.

ثم أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من حقوق المسلم على المسلم أنه إذا عطس وحمد الله أن يشمته، وتشميت العاطس أن يقول له السّامع: يرحمك الله، وحمد العاطس يكون شكرا لربه على هذه النعمة؛ إذ أذهب عنه الضرر بالعطاس، فإذا التزم هذا الأدب وحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليقل له من سمعه أو عرف أنه حمد الله وإن لم يسمعه: «يرحمك الله»، فيدعو له بالخير؛ لأنه عمل بالسنة، وأدى ما عليه من حمد الله وشكره على نعمته، فيكافأ على ذلك بالدعاء له بالخير، وفي رواية للبخاري أمر العاطس أن يقول لمن شمته: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، فيدعو له بالهداية وصلاح الشأن والحال في الدين والدنيا؛ بالتوفيق والتسديد والتأييد.

أما التثاؤب فينبغي للمسلم أن يكظمه ويرده ما استطاع؛ لأنه إذا قال: «ها» -يعني فعل التثاؤب وفتح فمه به- ضحك الشيطان منه؛ لأنه نال مقصوده ورأى ثمرة تحريضه على كثرة الأكل والكسل.

27 - عَلَى الْيَمِينِ طَاهِرًا نَمْ بَاكِرًا وَكُنْ لِأَذْكَارِ الْمَنَامِ ذَاكِرًا

من الآداب البهية، والأخلاق الزكية، تهيؤ العبد المسلم للقاء الله في كل أحواله، ولاسيما إذا أراد النوم فهو أشبه مايكون بالموت، وقد قيل: النوم موت أصغر، والموت نوم أكبر، وقد نبهنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتلك الحقيقة التي يغفل عنها كثير من الناس عند منامهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر: 42].

وقد سن لنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سننا عند النوم الأخذ بها من سنن الهدى، فحثنا على أن ننام على طهارة وعلى جنبنا الأيمن، فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ...» الحديث[1].

قال الحافظ ابن حجر: «وَخَصَّ الأَيْمَن لِفَوَائِد: مِنْهَا أَنَّهُ أَسْرَع إِلَى الانْتِبَاه، وَمِنْهَا أَنَّ الْقَلْب مُتَعَلِّق إِلَى جِهَة الْيَمِين فَلا يَثْقُل بِالنَّوْمِ، وَمِنْهَا قَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ: هَذِهِ الْهَيْئَة نَصَّ الأَطِبَّاء عَلَى أَنَّهَا أَصْلَح لِلْبَدَنِ، قَالُوا يَبْدَأ بِالاَضْطِجَاعِ عَلَى الْجَانِب الأَيْمَن سَاعَة، ثُمَّ يَنْقَلِب إِلَى الأَيْسَر لأَنَّ الأَوَّل سَبَب لانْحِدَارِ الطَّعَام، وَالنَّوْم عَلَى الْيَسَار يَهْضِم لاشْتِمَالِ الْكَبِد عَلَى الْمَعِدَة» انتهى[2].

وأن لانسهر لغير حاجة ضرورية كتعلم علم أو مؤانسة زوجة أو ضيف، بل نبكر إلى النوم، فمن نام باكرا استقيظ باكرا وأصبح لله ذاكرا، والنوم المبكر يساعد على التخلص من الأفكار والطَّاقة السّلبية، مما يُخفف التوتر والضغط النّفسي فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «لا سمَرَ إلَّا لِمُصَلٍّ، أوْ مُسافِرٍ»[3].

1 - رواه البخاري (2239)، ومسلم (4884).
2 - فتح الباري (11/ 110).
3 - أخرجه الترمذي معلقاً بعد حديث (2730)، وأخرجه موصولاً أحمد (4244).

في هذا الحديث يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا سمر» وهو الحديث والسهر ليلا، «إلا لمصل» يقوم الليل بالصلاة والنافلة؛ وذلك لأنه بالسمر يتروح قليلا ثم يقبل على صلاته، «أو مسافر» حيث يسمر مع غيره، ويسهر ليطوي المسافات بالليل.

وسبب النهي عن السمر: أنه يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين، والطاعات، ومصالح الدنيا، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: 67]؛ وعلى هذا فلا ينبغي السّمر في الليل إلاّ لفائدة، وما لا بد منه من الحوائج، كما في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمر مع أبي بكر في الأمر من أمر المسلمين وأنا معهما»، وهكذا كل ما كان فيه مصلحة أو حاجة داعية إليه، كمدارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف، والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، والحديث في الإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة، ونحو ذلك.

ولذلك كره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث والكلام بعد العشاء في غير ماذكرنا، فعن أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد قال: «كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يكرَهُ النَّومَ قبلَ العِشاءِ، والحديثَ بعدَها»[1].

ولاتنس أذكار النوم ففيها تحصين، وأنس وتطمين، فإذا قدر الله وحلقت روحك في عليين كتبت من الذاكرين، وإن أصبحت كنت في حصن حصين، فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا

1 - أخرجه البخاري (547)، ومسلم (647).

مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِن آخِرِ كَلَامِكَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ علَى الفِطْرَةِ. قالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ برَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ، قالَ: قُلْ: آمَنْتُ بنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ». وَزَادَ في حَدِيثِ حُصَيْنٍ «وإنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا»[1].

28 - مِمَّا يَلِي كُلْ بِالْيَمِينِ سَمِّ فِي أَوَّلٍ ثُمَّ احْمَدَنْ فِي الْخَتْمِ

وفي بداية الأكل والشرب فسحة للشاكرين، ومندوحة للذاكرين، فالمسلم لم يكن من جملة البهيمة العجماء، ولامن الكفرة الجاحدين من الدهماء، بل هو متعبد في كل أنفاسه لرب الأرض والسماء، فإذا أكل أكل باليمين لئلا يكون للشيطان عليه سبيل، وسمى الله في أول أكله حتى يحصن نفسه من كل تضليل، وحمد الكريم المتفضل على العالمين، لأنه يحب الحمد والتمجيد، والثناء والتحميد، ويعطي العبد عليه - وهو الموفق- أجورا عظيمة يفرح بها يوم المزيد، فعن أُمّ كُلْثُوم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»»[2].

ولِمَا رَوَى عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: كُنْت غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ: سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِك، وَكُلْ مِمَّا يَلِيك»[3].

فإن انتهى من مطعمه ومشربه حمد الله وأثنى عليه فهو المستحق للمحامد كلها، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»[4].

---

1 - أخرجه البخاري (247)، ومسلم (2710).

2 - رواه الترمذي (1858) وأبو داود (3767) وابن ماجه (3264)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (3202).

3 - رواه البخاري (5376) ومسلم (2022).

4 - رواه البخاري (5458).

و عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ليَرضى عن العبد أن يأكل الأكلة، فيَحمده عليها، أو يشرب الشَّربة، فيحمده عليها»[1]. و«الأَكْلَةُ» - بفتحِ الهمْزةِ -: هي الغَدْوةُ أو العَشْوَةُ، أي الغداء أو العَشاء.

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا غَيْرَ اللَّبَنِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ» وَإِذَا شَرِبَ لَبَنًا قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ» [2].

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ»[3].

فاللهم لك الحمد ابتداء وانتهاء، ودواما على كلّ حال، فنحمدك اللهم على مايسرت من التّعليق على هذه الأبيات، كما قال الناظم:

29 - أَحْمَـدُهُ -جَـلَّ- مُصَلِّيًـا عَلَى نَبِيِّنَـا يَـا رَبِّ نَظْـمِي فَاقْبَـلَا

كما حمد الناظم ربه ابتداء أثنى عليه بمزيد من الحمد انتهاء، وسأله القبول تفضلا وامتنانا، فهو الكريم الذي يوفق العبد للعمل ويتقبله منه جل وعلا فله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

قلت: أحمده جل بلاتعداد على تيسيره التعليق بالمراد

مصليا مسلما على الزكي نبيّنا ياربّ شرحي فاجتبي

وكتب الفقير إلى عفو ربه وكريم فضله: أبوسليمان مختار بن العربي مومن الجزائري ثم الشنقيطي في مصيفي بعين السخونة وذلك: لليلة بقيت من شهر ذي الحجة سنة 1444هجرية الموافق: 17جويلية 2023 عين السخونة ولاية سعيدة الجزائر.

---

1 -رواه مسلم (2734).

2 - رواه الترمذي (3377) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (381).

3 - رواه الترمذي (3455) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (2749).

أبوسليمان مختار بن العربي مومن الجزائري ثم الشنقيطي

واتس اب: 0097455365840

saidmokhtaar@gmail.com

فهرس الأخلاق الواردة في النّظم

نظم مجمل اعتقاد السلف 05
مقدمة 07
معنى الحمد لله 09
من هم العباد المقربون؟ 09
معنى الأدب لغة واصطلاحا وسلوكا 10
معنى الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 11
أعظم هبة وهبها الله للعبد بعد الإسلام هي الأخلاق 11
مراعاة الأدب مع الله بترك الآثام وفعل الأوامر 12
حسن الظن 13
التوكل 14
الرجاء 15
الحبّ 16
التوحيد 17
الخوف 18
توقير النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 19

تعظيم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 20
تقديم محبّته على محبّة الخلق 21
بِرُّ الوالدين 22
الرحم 24
تبجيل الكبار 25
رحمة الصغار 25
مساعدة الفقراء والمساكين 26
الشجاعة 27
الصبر 28
مراتب الصبر 28
الكرم الشكر 29
الفطنة 30
الحلم 33
الأناة 35
الحياء 36
الرفق 37
الأمانة 38
التواضع 40
الصّدق 41
العدل 43
الإحسان 44

العفو 46
الوفاء..... 48
مراتب الوفاء 49
قصة عجيبة في الوفاء..... 50
الإتقان 51
صون اللِّسَان..... 51
حفظ الجوارح 53
محبّة المسلم لأخيه المسلم 55
النصيحة..... 56
تقبّل النُّصح من الثّقات 58
المحافظة على الصّلاة..... 58
شغل الوقت بالانتفاع 60
حفظ المال عن الضّياع..... 62
الهمة في طلب العلم وحسن العبادات 63
المطالعة..... 66
احترام الكتاب..... 68
احترام المعلّم 70
إكرام العالم..... 73
أدب الإنصات للمحدث 75
تقديم الأكابر على الأصاغر في الحديث 77
سلامة المنطق بالخير..... 78

التثبت والثبات من أنفع المهمات 80
الاستخارة 82
الاستشارة 83
الاعتذار 84
الاستغفار 87
إفشاء السلام 89
مصاحبة الأخيار 90
مجانبة الأذى للناس 92
مراعاة آداب بيوتِ النَّاس 94
إكرام الضّيف 96
الابتسامة 98
نصرة الأخ ظالما أو مظلوما 99
الإيثار 100
العفة 102
المحافظة على الصّحة 104
النظافة 105
المحافظة على اذكار الصباح والمساء 107
العطاس 109
آداب النوم 111
آداب الأكل والشرب 113
خاتمة نسأل الله حسنها 114

البراق

في شرح

منظومة الأخلاق